

فاروق أبو سراج الذهب

النضالية

مشروع مواجهة حملات وحروب الإشاعة

تقديم
الشيخ أبو جرة سلطاني

دار
الخلدونية

سلسلة حبرنا الشاهد ❶

فاروق أبو سراج الذهب

النضالية

مشروع مواجهة حملات الدعاية وحروب الإشاعة

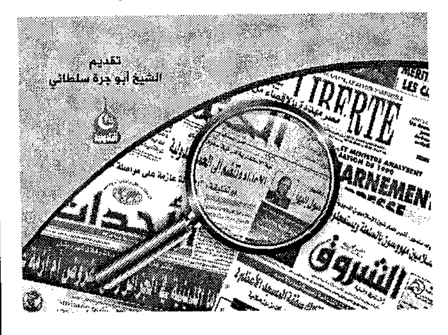






النضالية

مشروع مواجهة حملات وحروب الإشاعة



الطبعة الأولى

1431هـ -2010م



◈ **عنوان الكتاب**:سلسلة حبرنا الشاهد : النضالية مشروع مواجهة حملات الدعاية وحروب الإشاعة.

◈ **المؤلف** : أ/ فاروق أبو سراج الذهب

◈ **قياس الصفحة** : 24/16 سم

◈ **عدد الصفحات** : 192 صفحة

◈ **الإيداع القانوني** : 1070 /2010

◈ **ردمك**: 2- 431 - 52- 9961- 978

دار الخلدونية للنشر والتوزيع

05، شارع محمد مسعودي

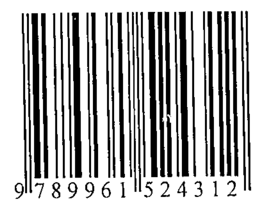
القبة القديمة - الجزائر.

هـ/ف : 021.68.86.48

هـ :021.68.86.49

البريد الإلكتروني

khaldou99_ ed@yahoo.fr



الإهداء

إلى كل عامل في الحقل الإسلامي الذي تنخره الإشاعة والأراجيف، وتحرقه الأنانيات، وتتربص به الإرادات، وتتآمر عليه مختلف الدوائر.

إلى الثلاثين ألف مناضل من مناضلي ومناضلات حركة مجتمع السلم الذين صمدوا في وجه الحملة الإعلامية والدعائية الكبيرة التي ضربت الحركة في العمق، وهذه المرة من الداخل، ولم يكتفوا بالقعود في البيوت وقراءة الصحف، أو إرسال رسائل المساندة، بل حضروا من كل فج عميق الى ملعب 20 أوت ببلوزداد يوم 19 جوان 2009، في الذكرى السادسة لوفاة الشيخ الرئيس محفوظ نحناح، ليشهدوا ويشهدوا العالم على وحدة الصف والحركة وسلامة المنهج تحت شعار: قيادة قاعدة... حركة موحدة.

إلى كل الذين صبروا على أذى الإخوان، واعتبروا أنفسهم في مرحلة دربة جديدة من أجل تماسك الصف وتمتين أواصر الأخوة، ومعرفة الغث من السمين، ووضع الحركة على السكة الصحيحة، التي قد تهتز أحيانا ولكن لا سكة غيرها تقود نحو تحقيق حلم الشهداء وعلى رأسهم الشيخ الذبيح محمد بوسليماني. والشيخ محفوظ نحناح، ومجدد القرن الماضي والحالي الشيخ حسن البنا قدس الله سره.

إلى كل هؤلاء الصامدين أمام حملات الإرجاف والتدليس وكشف العورات من أبناء الحركة الإسلامية ومدرسة الوسطية والاعتدال في كل أرجاء العالم، نهدي هذا الجهد المتواضع.

فاروق أبو سراج الذهب
مارس 2010

تقديم

بقلم فضيلة الشيخ أبو جرة سلطاني

الحمد لله القائل (لن يضروكم إلا أذى) ثم الصلاة والسلام على صاحب الأدب الرفيع القائل: "ما بال أقوام"... وبعد:

النضالية مصطلح شرعي ورد ذكره في الأحاديث الشريفة للدلالة على المنافحة والمقاومة والدفاع عن المصلحة المشتركة، فيوم القيامة لما يختم الله على الأفواه وتتكلم بقية الجوارح فتشهد أنها كانت تعمل وقد "تورطت" في ما كان ينفيه اللسان:

- فالعين تشهد بأنها رأت.
- والأذن تعترف بأنها سمعت.
- والقدم تؤكد أنها سعت.
- واليد تقول إنها بطشت.

والبطن والفرج والجلود... كلها تقر بأنها فعلت... وسقطت... واقترفت... عندها يخلي الله تعالى سبيل اللسان فيقول: "تبا لكم فعنكم كنت أناضل" وهو ما يعني أن الدفاع باستماتة عن الشيء هو شكل من أشكال النضال، وأن النضالية معناها الاستماتة في الدفاع عن القناعات والمواقف.

وقد وردت الآيات الكريمات رامزة لهذا المعنى بقول رب العزة: (وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء) ولأن الجسد

الواحد يفترض فيه التضامن والنضالية بحيث إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر' فإن الترابط بين النضالية والمشوشات الخارجية، مهما كانت طبيعتها (دعاية، إشاعة، أراجيف، قصف إعلامي) يفترض أن تقوم - داخل الجماعة المسلمة الواحدة – على القاعدة الذهبية المحفوظة في ضوابط العلاقات بين المؤمنين والمؤمنات، المأمورين شرعا بالتزام الأخلاق القرآنية في التعامل مع الإشاعات كإطار عام وهي:

- الظن بجميع إخوانك وأخواتك خيرا لأن عرضهم من عرضك.
- الدفاع عن أعراضهم بظهر الغيب، من منطلق أن الغائب بريء حتى يحضر، فقد تكون حجته معه.
- التثبت والتبين، فما كل ما سمعته الأذن ينقله اللسان، وإلا وقع الانسان في خطأين مهلكين وهما: الانتساب لحزب 'السماعين' الوارد ذمهم في سورة التوبة (وفيكم سماعون لهم) والوقوع في الإثم الماحق كفى المرء إثما أن يحدث بكل ما سمع'.

وهذه الدراسة تميط اللثام عن واحدة من أكبر الثغرات التي ما تزال مفتوحة في جدار التربية الحركية للجماعات الإسلامية التي تحتاج إلى من ينهض بواجب سدها، ولعل الكاتب قد حاول أن يلفت الانتباه إلى هذا الخرق قبل أن يتسع على الراتق، فنهض بواجب دق ناقوس الخطر منبها إلى خطورة الإشاعة والدعاية إذ تحولت إلى ثقافة يروج لها الفارغون في أسواق الكساد التربوي في غياب السقف المرفوع الذي يصنع القدوة ويربط الناس بالمشاريع البانية ذات الهمم العالية.

قرأت هذه الدراسة في مسودتها الأولى وسجلت بعض الملاحظات التي أعتقد أن تصويبها من شأنه أن يدرج هذا الكتاب في سياق الجهود الدعوية المتضافرة في مجال الاستدراك التربوي الذي تعمل كثير من الجهات على سد ثغرته

الآخذة في الاتساع منذ أن ابتليت الحركات الإسلامية بالخلطة وفتحت أبوابها لمن لا يقيم كبير اهتمام للضوابط الشرعية في التعاطي مع القضايا السياسية فإذا به يتورط في مفاهيم ومصطلحات الميكيافيلية المقيتة ويصبح الوصول إلى غايته هو الهدف الذي يسعى إليه بصرف النظر عن الوسائل التي يسلكها، ولو على حساب مقاصد الإسلام كلها: الدين والعرض والنفس والمال والعقل، وهنا يحتاج الأمر إلى وقفة تعيد الربط بالأصل أي: بالكتاب والسنة وهدي السلف الصالح.

إن الجهد الذي بذله صاحب هذه الدراسة يستحق الذكر والتنويه، لأنه يصب في هذا التوجه التربوي العام، ويسد جزءا من فراغات التربية التكميلية والوعي المستدرك في منظومتنا الفكرية وخطنا السياسي العام كونه يعالج موضوعا له صلة بتكوين الإنسان المسلم وعلاقاته بنفسه ومحيطه الاجتماعي وعاقبة أمره، حتى لا يجد نفسه يوم القيامة ضمن زمرة الأخسرين أعمالا (**الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا**).

هي محاولة تسلط الضوء على الرؤية النظرية للإشاعة وتستعرض كرونولوجيا سريعة للأحداث وتضرب حول تلك الوقائع الأمثال لتقريب الصورة وتجريم الفعل وتشنيع سلوك المتورطين فيه، وتقدم بعض التوجيهات العملية المخففة من جرعة السقوط في مهاوي رذيلة الإشاعة، وتستحث ذوي المروءات على اعتماد منهج النضالية لمقاومة طغيان المد الدعائي، وكل ذلك يدركه أبناء الحركة الواعية، لأنهم خبروا وعرفوا الواقفين وراء موجات الإرجاف وأدركوا أن الجنة محفوفة بالمكاره، وأنه إذا كان صف الرسول -صلى الله عليه وسلم- وهو حي والوحي ينزل ومع ذلك لم يسلم من المرجفين ومن شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا فإنه من باب أولى، الا تخلو صفوفنا من مرجفين، والعيب ليس فيمن يقصف بيتك بكل نقيصة وإنما العيب في الا

تتأدب بالأخلاق الشرعية في التعامل مع الشائعات، ولا تجد من يتصدى للمرجفين ليس بالإرجاف، وإنما بالعمل الميداني الذي يذر أصحاب الدعاية قاعا صفصفا إذا أدركوا أن القذيفة التي مداها ألف ميل لا تفلح في صدها قذيفة مداها ألف ذراع، والعلاج لا يكمن في التقاذف بالدعايات والأراجيف، وإنما في تجسيد شعار الخليفة الذي رد على تجاوزات قائد الروم بالقول: الخبر ما سوف ترى لا ما تسمع، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون، والحمد لله أن الزبد ذاهب جفاء أما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض.

الجزائر في 12-03-2010

مدخل عام

قد يكتب الكثير من المفكرين والصحفيين والسياسيين عن حركة مجتمع السلم، وقد يبرز التباين في تقييم مسار الحركة السياسي بين مؤيد ومعارض، بل وقد يتخذ البعض أحكاما قاسية في حق الحركة سواء من داخل الصف "ممن كتب" أو من خارجه، ومن الصديق والعدو ومن القريب والبعيد ومن الحاقد والحاسد والجاحد. وكل ذلك يدل دلالات واضحة على حيوية حركة شدت الرأي العام وشغلت الناس، وهو عنوان صدقية ومرجعية، فكم استفادت الحركة من انتقادات الآخر من الإسلاميين والعلمانيين والوطنيين بل ومن أبنائها الباقين فيها أو الذين خرجوا منها وهي استفادة استراتيجية ما كانت الحركة لتستفيد منها في المراجعة والتقييم والتصويب وتلمس المخاطر والمحاذير لولا ما أسداه لها الآخرون من الانتقادات والتقاييم، ولعلها الحركة الوحيدة على مستوى الحركة الإسلامية الجزائرية التي استطاعت أن تتعاطى مع النقد والرفض بمنطق إيجابي يستفيد من بعض ما يراه الآخر من مواقف وقرارات. هذا الآخر الذي عمل باستمرار على وضع العصا في عجلة الحركة حتى لا تتقدم ولكنها استطاعت أن تشق طريقها وسط العواصف والزوابع في اتجاه مواصلة الطريق بخارطة ولوحة قيادة واضحة تعرف ما تريد في طورها الجديد. كيف لا وقد صارت الحركة من خلال كل عمليات القصف الإعلامي التي تعرفها الساحة الإعلامية في الجزائر وبعد عقد ونصف من الزمن اسمها متصل بالثوابت الوطنية وكأنها هي المسؤولة عنها وأي تصرف أو سوء تقدير يحسب عليها، وما معركة الولي في قانون الأسرة ومعركة إلغاء شعبة الشريعة في الثانوي وتثبيت مادة العلوم الإسلامية كتخصص قائم

. بذاته، وميلاد التحالف الرئاسي، وقبلها وفاة الشيخ الرئيس محفوظ نحناح ومن يخلفه، وقضايا أخرى تتعلق بالحركة الإسلامية وبالقيم والثوابت والشرعية، ارتبطت في لاشعور الصحفيين ومن خلالهم القراء والمواطنون بحركة مجتمع السلم، بالرغم من أن هذا الربط غير صحيح وغير سليم لأن الثوابت الوطنية مسؤولية دولة وأمة وحركة إسلامية قبل أن تكون مسؤولية حزب سياسي واحد. لكن الصورة الإعلامية الجزائرية هكذا هي مرسومة ومفصلة، وهو حكم طبيعي من جهة أخرى على حركة ظلت على مر الزمن المدافع الواعي والذكي على ثوابت الأمة رغم سياسة التشويه والتمييع والتضليل والتخوين التي تمارسها بعض الأوساط المصابة بأعراض الإعاقة الفكرية المزمنة، مما يرتب على حركة مجتمع السلم مسؤولية تاريخية عظيمة أمام الأمة حتى وإن لم تستوعب هذه الأمة في مرات عديدة خيارات الحركة السياسية.

ذلك أنه بين الحقيقة والإشاعة، وبين الصدق والكذب، مضمار سباق يومي، ومساحة تباري حقيقي أمام رأي عام يكاد يكون أكبر جمهور يشهده ملعب الدعاية والإشاعة والحقيقة وصدقية المضمون في الجزائر. لكن هذا السباق بين الحقيقة والإشاعة بالرغم من أنه يثير زوابع رملية وترابية إلا أنه محسوم لصالح الحقيقة والصدقية، وتجربة التاريخ الذي لا تتكرر فيه الأحداث ولكنها تصيغ ظواهر سياسية واجتماعية تسهل على القارئ المتابع معرفة الخلفيات والممنوعات وتوفر له هذه الظواهر فرص تقريب المعلومات بعضها إلى بعض وسبر أغوار أي قضية مطروحة على الساحة، وتصنيفها في خانة الظواهر السياسية والاجتماعية[1]

[1]- د. نصر محمد العارف، نظرية التنمية السياسية المعاصرة، المركز العالمي للفكر الإسلامي، دار القارئ العربي، القاهرة، 1981 ص 11.

المتكررة ليستفيد منها في تدقيق المقاربة وتحديد الموقف تجاه الراهن الذي تتزاحم فيه الأحداث، وبالتالي يمتلك القدرة على معرفة اتجاه رياح تداعي المعلومات والأخبار ببوصلة تتيح القراءة الذكية للأحداث.

وإذا كانت سرعة الحقيقة أضعف من سرعة الإشاعة في الانتشار، فإن للحقيقة لسانا واحدا يتكلم، هو لسان الفعل والواقع والبرامج، أو بلغة أخرى هو لسان "شهادة العين وإيقان القلب" وليس المخبر كالمعاين كما يقول الأصوليون، وللإشاعة ألسن سرعان ما تغير موقعها ولسانها.

وهذا الكتيب يسلط الضوء على الرؤية النظرية والسياسية والشرعية والتربوية للإشاعة، وإبراز دور قيمة النضال في مواجهتها، كما يستعرض الكتيب حملات القصف الإعلامي التي تعرضت إليها حركة مجتمع السلم في الجزائر وكيف صمدت في وجهها رغم تعاظم وسائل القصف الإعلامي وتعدد أطرافه، إلا أن حركة مجتمع السلم أثبتت في كل مرة قوة صمودها ومقاومة قاعدتها النضالية لكل الإشاعات التي استهدفت المنهج والقيادات والرموز منذ خروج الحركة للعلن، أي سنة 1989. وكانت الإشاعة والدعاية في البداية خارجية، أي من الخصوم سواء كانوا يمثلون تيارات علمانية أو الإسلامية أو سلطة حاكمة، وقد أبدع الشيخ الرئيس محفوظ نحناح في مواجهة القصف الإعلامي، ورسم للمناضلين والقيادات مسار المقاومة والمواجهة، سواء من خلال تطويع اللغة وصياغة الخطاب، أو من خلال استراتيجية لا رد، أو من خلال الدعاية العملاقة باستخدام المبادرات والمشاريع الكبرى والبرامج الحيوية والميدانية دون الالتفات إلى الإشاعة والأراجيف، وقد طور هذه الاستراتيجية خليفة الشيخ محفوظ نحناح الشيخ أبو جرة سلطاني، سيما أن مضمون الدعاية وأطرافها تغيرا في عهدة الشيخ أبو جرة

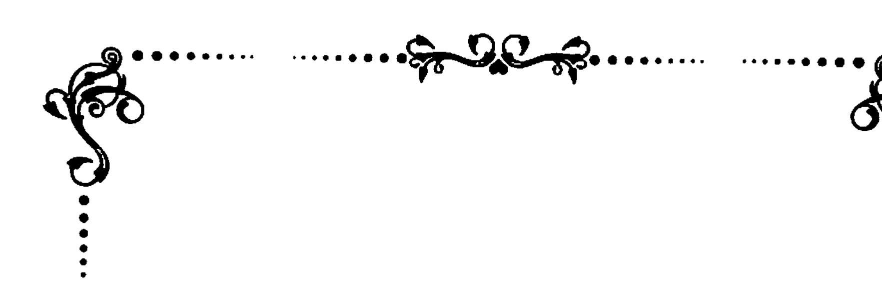
سلطاني، حيث نشطت الإشاعة من داخل الحركة، وهو ما لم تعرفه الإشاعة زمن الشيخ نحناح بهذا الشكل سواء في أطرافها أو في مضمونها، ومن خلال الدراسة الموضوعية لهذين المسارين استخلصنا نتيجة أساسية، تفيد أن النضالية داخل حركة مجتمع السلم هي محور العمل والرهان، وهي الحل الطبيعي والفاعل لمواجهة كل أشكال الإشاعة والأراجيف مصداقا لقوله تعالى: (إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم، بل هو خير لكم، لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم، والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم* لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا، وقالوا هذا إفك مبين)[1]

بقلم فاروق أبو سراج الذهب

نوفمبر 2009

---

[1]- سورة النور الآيتان: 11 - 12



الفصل الأول

الرؤية النظرية للإشاعة





الإشاعات: غاياتها وأساليب مواجهتها

تعتبر الإشاعة (Rumeur) ظاهرة اجتماعية قديمة، وليست وليدة اليوم، لازمت الحياة البشرية على الأرض، واتخذت عدة أشكال عبر التاريخ الإنساني، وتطورت بتطور المجتمعات، متلازمة مع حركة الصراع والنزاع والاختلاف، ومصاحبة للأطماع الاقتصادية والعسكرية، ومرافقة للتغيرات الاجتماعية والتحولات السياسية والثقافية، غير أنها أكثر شيوعا وانتشارا مع الحملات العسكرية والحروب، وخاصة إذا كان ذلك احتلالا وليس استعمارا.

وإذا كانت الشائعة مستمدة من الفعل الثلاثي"شاع" فإن الإشاعة من الفعل الرباعي"أشاع" وتعني أنها محمولة ومنقولة بواسطة أفراد متطوعين أو مكلفين، وبالوسائل والأساليب المختلفة التي تجعل منها مادة سهلة الانتشار، سريعة التأثير، فهي تنطلق من جزء من الواقع أو خبر أو حديث بعيدا عن المصدر أو الشكل الذي قيلت فيه وتلوكها الألسن وتتناقلها الأفواه ووسائل الاتصال التقليدية في الحياة اليومية الاجتماعية، ولذلك تستخدم الشائعة (أحيانا) في قياس الرأي العام، فهي عبارة عن استطلاع رأي يتعرف المهتمون من بثها ونشرها وتداولها على طبيعة اتجاه الرأي العام، والتعرف على مواطن الخلل والقوة في بنيان المجتمع، ليكون بذلك سبيلا لوضع الفلسفة السياسية العامة للقضية التي كانت الإشاعة مادتها سواء كانت لإصلاح المجتمع أو للإغارة على المجتمع المقابل أو المعادي.[1]

---

[1]- مرتضى سعد، مجلة النبا العدد 23/ 1419، 24/ www.annabaa.org/nba23

مفهوم الإشاعة

الإشاعة هي عبارة نشر خبر ما بصورة غير منتظمة، وبدون التحقق من صحته، والإشاعة تقوم بنشر الخبر بطريقة شبه سرية، ولا تذكر مصادره، وكثيرا ما تنشر أخبارا وهمية، وقد تكون حقيقية، ولكنها تلبسها كثيرا من التحريف والتحوير الذي يشوه صورة الحدث الأصلي.وهي تعتمد بالأساس على الاتصال الفردي لشيوعها ولسريانها، وهذه الظاهرة الاجتماعية القديمة، قامت بوظيفة الإعلام في فترة زمنية طويلة من حياة المجتمع البشري قبل ظهور الإعلام بمفهومه المعاصر.

يمكن تعريف الإشاعة، بأنها ضغط اجتماعي مجهول المصدر، يحيطه الغموض والإبهام، وتحظى من قطاعات عريضة بالاهتمام ويتداولها الناس لا بهدف نقل المعلومات، وإنما بهدف التحريض والإثارة وبلبلة الأفكار.وقد تعددت التعاريف حول معنى الإشاعة، حيث يرى البعض أن الإشاعة هي ترويج لخبر مختلق لا أساس له من الواقع، وهي تعتمد في ذلك المبالغة والتهويل أو التشويه حين تسرد خبرا فيه جانب ضئيل من الحقيقة، وذلك بهدف التأثير النفسي في الرأي العام المحلي أو الرأي العام الإقليمي، لتحقيق أهداف سياسية أو اقتصادية أو عسكرية على نطاق دولة أو عدة دول أو على النطاق الدولي بأجمعه. ويرى البعض الآخر أن الإشاعة هي، فكرة يعمل رجل الدعاية على أن يؤمن بها الناس، فهو يعمل على نقلها من شخص إلى آخر حتى يذيع مضمونها بين الجماهير... أو هي معلومة لا يتم التحقق من صحتها ولا من مصدرها، وتنشر عن طريق النقل الشفهي... كما يمكن تعريف الإشاعة بأنها رواية تتناقلها الأفواه دون التركيز على مصدر يؤكد صحتها.

أهداف الإشاعة

تعتبر الإشاعة التي يتم ترويجها بين الناس، عن قصد أو غير قصد، من أهم الوسائل الدعائية. والإشاعة غير المقصودة تسمى "ثرثرة"، ويجد كل من ناقلها أو مستقبلها لـذة في روايتها، وقد يجد بعض الناس متعة في رواية الإشاعة. ويكثر ترويج الإشاعات في زمن الحروب أكثر منها في زمن السلم وأوقات الهدوء والاستقرار، لأن الناس يستولي عليهم الخوف والرعب. وقد أثبتت الدراسات السيكولوجية أن الإشاعات سلاح خطير في أوقات الحروب والأزمات بصورة خاصة، لأنها تثير العواطف وتترك أثرا عميقا في نفوس الجماهير.

وإذا كانت الحرب النفسية تهدف إلى إشاعة الفرقة والانقسام في صفوف الخصم وتحطيم معنوياته، وإلى تقوية الجبهة الداخلية وزيادة تماسكها وإلى كسب ود الدول المحايدة، وتوثيق أواصر الصداقة مع الدول الحليفة، فإن للإشاعات دوراً تؤديه في هذا كله، فالشائعات تلعب دوراً أساسيا في دعم اتجاهات التماسك الداخلي للجبهة الداخلية (الدعاية البيضاء)، وتؤكد الشعور بالعزة والنصر. أما إشاعات الكراهية، فتعمل على شق "صفوف الخصم" وبث روح اليأس والإحباط بين أفراده، وتسمى تلك "الدعاية السوداء". ولا بد من التذكير في هذا الصدد كيف انتشرت إشاعات الفظائع خلال الحرب العالمية الأولى، واستغل الألمان والحلفاء هذه الإشاعات كل ضد الآخر. وقد اتصلت هذه الشائعات بالتمثيل بالأسرى والتنكيل بهم في قسوة. والهدف من ذلك هو بلبلة الأفكار وإثارة السخط وتهييج الخواطر وزيادة الانفعال.

ومن أهم أهداف الإشاعة التي تسعى لتحقيقها ما يلي:

1ـ تكمن خطورة الإشاعات في أنها تساعد على نشر الخصومة والبغضاء بين أفراد المجتمع تمهيدا لتدمير استقراره النفسي من خلال نشر الفتن وتفكيك وحدة المجتمع بحيث يصبح ممزقا ومتفرقا فتضعف معنوياته.

2 ـ العمل على تدمير القوى المعنوية لدى الخصم وبث الفرقة والشقاق والإرهاب والرعب، وتستعمل الإشاعة كستارة دخان لإخفاء الحقيقة. كما يمكن استخدامها كطعم لاصطياد المعلومات والحط من شأن مصادر الخصم.
3ـ تلعب الإشاعة دورا فاعلا وخطيرا في أوقات الحروب، لأنها تثير عواطف الجماهير وتعمل على بلبلة الأفكار، ولها دور هام في الدعاية السوداء[1]...

عوامل انتشار الإشاعة

أ ـ تبرز الإشاعة دائما في أجواء الترقب والتوقع، وعدم الاستقرار واللاثقة.
ب – وجود أجواء التوتر النفسي التي تخيم على المجتمع.
ج ـ سوء الوضع الاجتماعي والاقتصادي، وتفشي ظاهرة البطالة في المجتمع.

مراحل ظهور الإشاعة

تجتاز الإشاعة قبل ظهورها وانتشارها وسريانها بين الناس ثلاث مراحل هي:

1ـ مرحلة الإدراك الانتقائي: أي إدراك الحدث أو الخبر من جانب شخص أو عدة أشخاص، ويرجع اهتمام هؤلاء بالحدث أو الخبر لمغزاه الاجتماعي في نفوسهم.
2ـ مرحلة التنقيح للهدف والإضافة: وذلك حتى تتلاءم العناصر المكونة للإشاعة مع بعضها البعض من جهة ومن ثقافة المجتمع من جهة أخرى.

[1]- نفس المرجع السابق.

3 ـ مرحلة الاستيعاب النهائي والانطلاق والانتشار بين الجماهير: وذلك بعد أن تكون مستصاغة سهلة الاستيعاب، متوافقة مع المعتقدات والأفكار والقيم السائدة في المجتمع.

ويخضع انتشار الإشاعة لشرطين أساسيين هما (الأهمية والغموض)، ويرتبط هذان الشرطان ارتباطاً كمياً بدرجة انتشار الإشاعة حيث إن شدة سريان الإشاعة هي محصلة أهمية الموضوع بالنسبة للأفراد المعنيين ودرجة الغموض المتعلقة بالخبر أو الحدث، فشدة سريان الإشاعة لا يكون حاصل جمع الأهمية + الغموض... وإنما هي حاصل ضرب (الأهمية X الغموض) بمعنى أنه إذا كانت أهمية الخبر صفراً أو إذا كان الغموض صفراً فلن تكون هناك إشاعة، وإذا كانت طبيعة الإشاعة تتركز في الغموض والأهمية، فيمكن أن نقول: إن فرصة انتشار الإشاعة تزيد كلما ازدادت درجة الانسجام والتناسق بين شكل الإشاعة وصياغتها.كما تزداد سرعة انتقالها كلما كان الوسط الاجتماعي مستعداً لتقبلها، وكلما كان محتوى الجد الذي تحتويه الإشاعة مختصراً، وأخيرا يزداد انتشار الإشاعة، إذا عبرت عن رمز اجتماعي أو نفسي برغبة أو برهبة أعضاء الجماعة.

دوافع الدعايات الخبيثة

1/ ﴿ ومن يكسب خطيئة أو إثماً ثم يرم به بريئاً فقد احتمل بهتاناً وإثماً مبينا﴾ [1]، فالخطيئة ههنا هي التي لا تكون عن قصد إلى فعله. اكتساب الخطيئة: سواء أي خطإ في أمر دينه أو دنياه، لا عن قصد إلى فعله كما يذكر في اللغة، فذلك الإنسان يحاول أن يدفع بالخطيئة إلى غيره فيكون قد قصد الخطيئة ههنا وقد احتمل بهتاناً وإثماً مبينا، فيحاول أن يرمي بها شخصاً بريئاً ويشيعها عليه إما لخوفه من العقوبة أو لمحاولة إشراك الناس في خطيئته.

---

[1]- سورة النساء/ الآية 112

2/ ﴿ إذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم ﴾ [1].

اللغو واللامسؤولية في الكلمة دافع من دوافع الدعايات الخبيثة، البعض من الناس تراه محبّاً للحديث في أي جانب من جوانب الحياة وكأنه الكراس الناطق، فمهنته الثرثرة، يأخذ من هنا وهناك وينقل الإشاعات السلبية وهو لا يعلم ما يقول سوى علمه بأنه يتكلّم ويريد ان يتكلّم. وينبعث هذا من الإحساس بالفراغ والتعويض عن الفشل في الغالب.

3/ الظن والتسرّع: قد يقوم بعض الناس لمجرّد سماعهم لقضية معينة بنشرها وترويجها وهم بعد لم يحرزوا العلم بها وإنما ظنوا فحكموا وتسرّعوا في إشاعتها وفي هذا قوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إنّ بعض الظنّ إثم ﴾[2] وقال الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم: "سَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَاغْدُوا وَرُوحُوا وَشَيْءٌ مِنْ الدُّلْجَةِ وَالْقَصْدَ الْقَصْدَ تَبْلُغُوا"[3] البخاري وقال: إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلاَّ غَلَبَهُ فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنْ الدُّلْجَةِ. البخاري. وقال صلى الله عليه وسلم: إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق.[4] رواه الإمام أحمد وحسّنه الألباني.

ويقول الشاعر:

تأنّ ولا تعجل بلومك صاحباً ... لعلّ له عــــذراً وانت تلــوم

---

[1]- النور، الآية 15.

[2]- سورة الحجرات، الآية 14

[3]- رواه البخاري

[4]- رواه الإمام احمد وحسنه الألباني.

4/ الحالة النفسية المضطربة: ومن مظاهرها عدم الارتكاز إلى قاعدة فكرية ثابتة وفقدان الموازين الفكرية وكذلك القاعدة الاجتماعية ومنها الفتن والحيرة والشك تدعو هذه الحالة الإنسان إلى تقبّل الأفكار دونما تفحّصها وتمحيصها وينقلها على لسانه بحالة فاترة من الشعور فيصبح بذلك مطية الأغراض السلبية من حيث لا يشعر.

5/ المحافظة على الحكم والمصالح: وهي من أهم الدوافع لإثارة الإشاعات الخبيثة حيث تدعمها الحكومات الجائرة من أجل تثبيت سلطانها ومصالحها بكل الوسائل والإمكانيات المادية والمعنوية.

6/ تأثير العقل الجمعي: يدعو المرء إلى نقل الإشاعة والتصديق بها بفعل هذا التأثير، ولهذا أشار الإمام أبو عبد الله (رضي الله عنه) إذ نقل عنه: «أنه قال لرجل من أصحابه لا تكوننّ إمعة تقول: أنا مع الناس وأنا كواحد من الناس»[1]، إمعة: مخفف: أنا معه.

7/ الشعور بالنقص: يحاول صاحب الشخصية الضعيفة في المجتمع، ونتيجة شعوره بالنقص وعدم اهتمام الغير له، أن يتقنّص الأخبار الغريبة ويطرحها على المجتمع حتى يلفت أنظار الناس إليه (والناس بطبعهم ميّالون إلى الجديد) فيشعر أن هذه الالتفاتة قد أعطته مكانة في المجتمع، وأشار إليها القرآن: ﴿ لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون﴾ [2]، فهنا قد يكون (الذين في قلوبهم مرض) إشارة إلى أهل الشعور بالنقص ويجعلهم مصداقاً من مصاديقها.

1- الشيخ الدسوقي، معاني الأخبار.

2- سورة الأحزاب، الآية 60

8/ حبّ الجديد والثورة على الواقع المعيش ومحاولة تجديده، وقد تدعو البعض إلى إثارة الإشاعات والأفكار الموهومة والباطلة في سبيل إرضاء هذه النزوة، طبعاً هذا فيما إذا كان الواقع المعيش على الحق فتكون الثورة على الباطل.

9/ الحقد: يدفع الحقد بالذين في قلوبهم مرض إلى إثارة الإشاعات السلبية حول الناس الذين يحقدون عليهم وقد يكون حول أمة بكاملها أو دين سماوي فيقول القرآن: ﴿ إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا ﴾ [1].

أنواع الإشاعات

تنقسم الإشاعات إلى ثلاثة أنواع رئيسة هي:

1- **إشاعة الإسقاط**: أي التي يستطيع بها الأنا (الذات) حماية نفسه عن طريق إسقاط رغباته الشاذة أو المكبوتة على عناصر البيئة الخارجية.

2- **إشاعة التبرير**: يعتبر التبرير حيلة نفسية، يلجأ إليها الفرد عندما يعوزه الدليل العقلي والأسباب المنطقية، وهذه الحيلة قد تكون سبباً كافيا لإطلاق الإشاعة.

3- **إشاعة التوقع**: وهي تنتشر عندما تكون الجماهير مهيأة لتقبل أخبار معينة أو أحداث خاصة مهدت لها أحداث سابقة كإشاعات النصر أو الهدنة في زمن الحرب وغيرها، كما تنقسم الإشاعات إلى أنواع أخرى مثل "الإشاعة البطيئة الزاحفة ـ الإشاعة السريعة الطائرة ـ الإشاعة الهجومية."

[1]- سورة النور، الآية 16.

من أساليب الدعايات[1]

1/ أسلوب النكتة: وللنكتة أثر كبير في الرأي العام وخاصة في الشعوب التي تميل بطبيعتها إلى ذلك، وقد يحدث أحياناً أن يكون لبعض النكات تأثير في الرأي العام أكبر وأعمق من تأثير المقالات الصحفية والأحاديث الإذاعية، ولذلك تعني البلاد المعادية دائماً بجمع النكات ذات الهدف السياسي.

2/ أسلوب التكرار: فالدعاية السياسية أو الاجتماعية لا غنى لها مطلقاً عن التكرار وهي وسيلة من وسائل تثبيت المعلومات المراد إشاعتها بين الجماهير، ونحن عندما نعدّد هذه الأساليب قد لا تخص فقط الدعاية السلبية فقد تتعداها إلى الدعاية الطيبة الداعية إلى الحق.

3/ الأسلوب الديني: يستعمل مثل هذا الأسلوب، وهو خطر جداً، إذ ينفذ إلى الأمة من أعماقها من عقائدها ويحاول ضربها ونسف كيانها العقائدي وتحقيق مصالحهم وفق ما يشتهون إذا ملكوا الأداة لتسيير الأمة.

4/ أسلوب الاستضعاف والاستعطاف: ويستعمل هذا الأسلوب بغية التأثير في نفوس المقابل، وعليه تعتمد الصهيونية كثيراً في نشر دعاياتها ضد الدول العربية في ربوع أمريكا، ومثاله: استخدمت الصهيونية عبارات مؤثرة في نفوس الشعب الأمريكي مثل قوله (أعطونا لنعيش)، ومع هذه العبارة رسم طفلاً صغيراً يريد طعاماً فلا يجده، بذلك يستدرّون عطف الأمريكيين ويستجدون عطاءهم.

5/ الشعارات: وهي عبارة عن الكلمات البسيطة التي تصدر عن الزعماء في كل حركة من الحركات السياسية والاجتماعية ثم يرددها الشعب نفسه وربما تدخل الأناشيد والقصائد الشعرية والأغاني كواحد من مصاديقها أيضاً.

---

[1]- د. عبد اللطيف حمزة، الإعلام والدعاية.

6/ أسلوب منطاد الاختبار أو جس نبض الرأي العام: ويكون ذلك غالباً عن طريق الإشاعات وإطلاقها بين الناس في وقت معين، ثم القيام بتحليل الرأي العام بالنسبة لهذه الشائعات، فإذا أثبت التحليل نجاحها ذاعت وتكررت، وإذا أثبت فشلها عدل عنها إلى غيرها وهكذا.

7/ أسلوب الكذب والاختلاق.

8/ الصورة الكاريكاتيرية: وتستخدم للنفاذ إلى العقل بدون عناء، وهي وسيلة مختصرة ولكن عميقة الدلالة والأثر.

9/ الأسلوب الاستنكاري: هو أن تطرح الإشاعة بلهجة استنكارية تثير لدى الإنسان تحفزاً استنكارياً مقابلاً لمعرفة الحقيقة واستنكارها، ثم يأتي الأسلوب الإثباتي، وهو تثبيت امتداد الأسلوب الأول حيث إن إيجابية رد الفعل في الأسلوب الأول هي تقرير معلومات الإشاعة لحقيقة ثابتة.

10/ ومن الأساليب الحديثة في تمرير الإشاعة هي محاولة خلق عدو وهمي للأمة، يحاول أن يفترس الأمة في أية لحظة (وهماً)، وهنا يصبح من الميسور إصدار مختلف أنواع الإشاعات بشكل مهوّل وفي أي وقت، وهذا أسلوب يستخدمه الزعماء الديكتاتوريون في الغالب إذ يصنعون أمام نظر الشعب عدواً كبيراً وخطيراً ليروا سياساتهم الخاطئة ويصرفوهم إليه بدلاً من قضاياهم المصيرية.

11/ الأسلوب العلمي: يحاول البعض أن يطرح الدعاية بأسلوب يدّعي أنه علمي ويتفلسف في الكلام في سبيل جلب ثقة المقابل بأنه عالم وفاهم فيتقبل منه الإشاعة برحابة صدر.

12/ أسلوب الاحتواء: وهو محاولة إفهام المقابل أنه على رأيه ومذهبه وبعد أن يطمئن إليه يبدأ المشيع ببث أفكاره شيئاً فشيئاً فلا يجد معارضة من الطرف المقابل في تقبّل رأيه لأنه وثق أن المشيع معه في المبدإ والفكرة بينما المشيع يحاول تمرير

إشاعته وأفكاره بهذا الأسلوب، ويشير القرآن إلى مثل هؤلاء الناس بقوله: ﴿ومن الناس مَنْ يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون﴾ (1).

أساليب مواجهة الإشاعة

يرى الخبراء في الحرب النفسية والدعاية، أن الإشاعات تمثل جزءا من الحرب النفسية، وأن مقاومتها هي جزء من مقاومة الحرب النفسية ذاتها، وأن التصدي لظاهرة انتشار الإشاعات في المجتمع، هو مسؤولية جماعية، أي أنها تقع على كاهل كل فرد من أفراد المجتمع من خلال تجنب ترديد الإشاعة ونشرها بين الناس، وإبلاغ الجهات المسئولة عنها فور سماعها، وذلك بهدف القضاء عليها في مهدها، وتقف مباشرة عند ذلك الشخص الذي أبلغ عنها، ليأتيه التوضيح الصحيح من المسؤولين الذين أبلغهم بها.وتجدر الإشارة في هذا الصدد، إلى أن القرآن الكريم قد رسم طريقا واضحا للمسلمين في مقاومة إشاعة الإفك، وهي طريق يمكن للمسلمين أن يسلكوه في كل زمان ومكان، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إذ تلقّونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم، لولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم، يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا إن كنتم مؤمنين﴾ (2)

ولما كانت الإشاعة من أخطر ما يتهدد الأمة ووحدتها وقواها المعنوية والنفسية، كانت مواجهتها ترتكز على العلم والخبرة، بشكل فعال، لقطع جذورها من نفوس الناس، واقتلاع أثرها، لتبدو وكأنها لم تكن، وكانت هذه المقاومة أمرا على أقصى درجات الأهمية، ومن صور اهتمام الدول بمواجهة هذه الظاهرة

---

[1] - سورة البقرة، الآية: 8-9

[2] - سورة النور، الآيتان: 15-17

الخطيرة، أنها خصصت لها أكفأ رجالها وأجهزتها الإعلامية والاستخبارية والمنظمات الشعبية والسياسية بهدف كبح جماحها وفرملة تقدمها وتغلغلها في الأمة ومكافحتها.

ومن أهم الإجراءات والأساليب لمقاومة الإشاعات نذكر ما يلي:

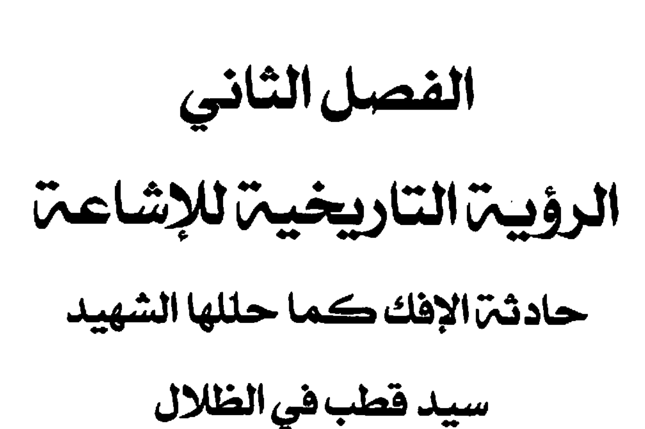
1. تعاون الجمهور في الإبلاغ عن الإشاعات والذين يروجونها.
2. تكاتف وسائل الإعلام من أجل عرض الحقائق في وقتها، ونشر الثقة وتنمية الوعي العام بين الجماهير.
3. التوعية والإرشاد لتثبيت الإيمان والثقة، والثقة المتبادلة بين القمة والقاعدة.
4. تولي الأمر في مواجهة هذه الظاهرة الاجتماعية الخطيرة (الإشاعة) إلى أهل العلم والمعرفة والخبرة والخلق والدين.
5. ضرورة تفنيد الإشاعة بالحجج والبراهين والأدلة والحقائق الثابتة، من خلال قيام المسؤولين بتكذيبها والبحث عن مصدرها (منبعها الأولي) والقضاء عليها من جذورها، وكشف مروجيها وأغراضهم الخبيثة.
6. يتعين على أفراد المجتمع الابتعاد قدر الإمكان عن الإشاعات، وعدم الهروب من الواقع الذي يعيشه الإنسان مهما كان قاسيا ومرا، مع ضرورة العمل المستمر والثقة بالنفس والإيمان بالله والكفاح والصمود، وعدم اليأس وسيادة المودة والمحبة بين أفراد المجتمع.
7. العمل على تفحص الإشاعات ودراستها ومن ثم وضع خطة مضادة لها تكون قادرة على احتوائها، وهذا يقع على عاتق الخبراء والعلماء المتخصصين في مجالات علم النفس والاجتماع والإعلام والتربية، إضافة إلى خبراء في المجالات الأمنية والاستراتيجية والعسكرية، بحيث يكون من

مهام هذا الجهاز دراسة الإشاعات وأبعادها وتأثيراتها على المجتمع، كذلك وضع خطط وبرامج مضادة مثل شن العمليات النفسية ضد الخصم وكسر شوكته.

8. تخصيص مكتب للاستعلامات، لمقاومة الإشاعة، ويمكن الاتصال به على عدة أرقام هاتفية، بحيث يجيب المختصون على أي استفسار حول الإشاعات التي يتم ترويجها، وبذلك يتم القضاء على الإشاعة في مهدها قبل نشرها على الرأي العام.

وخلاصة القول، أن هناك ضرورة ملحة للتصدي للإشاعات التي هدفها الأول، ضرب أسس المجتمع، من خلال تفحص الإشاعات ودراستها، ووضع خطة مضادة لمقاومتها، والإشاعة تعتمد في الوقت الحاضر على العلوم والنظريات، فالإشاعة ليست بسيطة كما كانت في الماضي، وإنما أصبح يشترك في وضعها وتخطيطها خبراء وعلماء في علم النفس والاجتماع والاتصال والطب، ذلك أن الإشاعة المحبوكة جيدا تؤتي نتائجها حتما وتحقق أغراضها في إحداث البلبلة في الرأي العام وتدمير المجتمع من الداخل حتى لا يستطيع المقاومة، ومن ثمة يفقد صوابه ويسلم بما هو قائم.





الفصل الثاني

الرؤية التاريخية للإشاعة

حادثة الإفك كما حللها الشهيد

سيد قطب في الظلال







الرؤية التاريخية من السيرة العطرة
حادثة الإفك كما حللها الشهيد سيد قطب في الظلال

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ (١١) لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفۡكٞ مُّبِينٞ (١٢) لَّوۡلَا جَآءُو عَلَيۡهِ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَۚ فَإِذۡ لَمۡ يَأۡتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ (١٣) وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ لَمَسَّكُمۡ فِي مَآ أَفَضۡتُمۡ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٤) إِذۡ تَلَقَّوۡنَهُۥ بِأَلۡسِنَتِكُمۡ وَتَقُولُونَ بِأَفۡوَاهِكُم مَّا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ وَتَحۡسَبُونَهُۥ هَيِّنٗا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٞ (١٥) وَلَوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ قُلۡتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبۡحَٰنَكَ هَٰذَا بُهۡتَٰنٌ عَظِيمٞ (١٦) يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثۡلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ (١٧) وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٨) إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ (١٩) وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ (٢٠) ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ (٢١) وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ

وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾ ﴾[1]

---

[1]- سورة النور، الآيات من 13 إلى 26

الشهيد سيد قطب ودقة تحليل حادثة الإفك

جاء في ظلال القرآن في تفسير سور النور[1]: هذا الحادث، حادث الإفك. قد كلف أطهر النفوس في تاريخ البشرية كلها آلاما لا تطاق، وكلف الأمة المسلمة كلها تجربة من أشق التجارب في تاريخها الطويل؛ وعلق قلب رسول الله ﷺ وقلب زوجه عائشة التي يحبها، وقلب أبي بكر الصديق وزوجه، وقلب صفوان بن المعطل... شهرا كاملا. علقها بحبال الشك والقلق والألم الذي لا يطاق.

فلندع عائشة - رضي الله عنها - تروي قصة هذا الألم، وتكشف عن سر هذه الآيات: عن الزهري عن عروة وغيره عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفرا أقرع بين نسائه، فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه؛ وأنه أقرع بيننا في غزاة فخرج سهمي، فخرجت معه بعد ما أنزل الحجاب، وأنا أحمل في هودج، وأنزل فيه. فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوته تلك، وقفل، ودنونا من المدينة آذن ليلة بالرحيل؛ فقمت حين آذنوا بالرحيل، حتى جاوزت الجيش. فلما قضيت من شأني أقبلت إلى الرحل، فلمست صدري، فإذا عقد لي من جزع أظفار قد انقطع، فرجعت فالتمسته فحبسني ابتغاؤه؛ وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلونني، فاحتملوا هودجي، فرحلوه على بعيري، وهم يحسبون أني فيه؛ وكان النساء إذ ذاك خفافا لم يثقلهن اللحم؛ وإنما نأكل العلقة من الطعام؛ فلم يستنكر القوم حين رفعوه خفة الهودج، فحملوه؛ وكنت جارية حديثة السن؛ فبعثوا الجمل وساروا، فوجدت عقدي، بعدما استمر الجيش، فجئت منزلهم، وليس فيه أحد منهم، فتيممت منزلي الذي كنت فيه، وظننت

[1]- سيد قطب، في ظلال القرآن، تفسير سورة النور من الآية 11 إلى 26.

أنهم سيفقدونني فيرجعون إلي؛ فبينما أنا جالسة غلبتني عيناني فنمت. وكان صفوان بن المعطل السلمي. ثم الذكواني. قد عرس وراء الجيش، فأدلج، فأصبح عند منزلي فرأى سواد إنسان نائم، فأتاني فعرفني حين رآني. وكان يراني قبل الحجاب. فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني، فخمرت وجهي بجلبابي؛ والله ما يكلمني بكلمة، ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه ؛ وهوى حتى أناخ راحلته، فوطىء على يديها، فركبتها، فانطلق يقود بي الراحلة، حتى أتينا الجيش، بعد ما نزلوا معرسين.

قالت: فهلك في شأني من هلك. وكان الذي تولى كبر الإثم عبد الله بن أبي بن سلول؛ فقدمنا المدينة، فاشتكيت بها شهرا؛ والناس يفيضون في قول أصحاب الإفك ولا أشعر. وهو يريبني في وجعي أني لا أرى من النبيﷺ اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي، إنما يدخل فيسلم ثم يقول: كيف تيكم؟ ثم ينصرف. فذلك الذي يريبني منه، ولا أشعر بالشر حتى نقهت، فخرجت أنا وأم مسطح قبل المناصع وهو متبرزنا وكنا لا نخرج إلا ليلا إلى ليل وذلك قبل أن نتخذ الكنف، وأمرنا أمر العرب الأول في التبرز قبل الغائط. فأقبلت أنا وأم مسطح – وهي ابنة أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف وأمها بنت صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وابنها مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب – حين فرغنا من شأننا نمشي. فعثرت أم مسطح في مرطها فقالت: تعس مسطح! فقلت لها: بئسما قلت، أتسبين رجلا شهد بدرا؟ فقالت: يا هنتاه ألم تسمعي ما قال؟ فقلت: وما قال؟ فأخبرتني بقول أهل الإفك، فازددت مرضا إلى مرضي. فلما رجعت إلى بيتي دخل رسول الله ﷺ فقال: كيف تيكم؟ فقلت: ائذن لي أن آتي أبوي. وأنا حينئذ أريد أن أستيقن الخبر من قبلهما. فأذن لي، فأتيت أبوي، فقلت لأمي: يا أمتاه ماذا يتحدث الناس به؟ فقالت يا بنية هوني على نفسك الشأن، فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا أكثرن

عليها. فقلت: سبحان الله! ولقد تحدث الناس بهذا؟ قالت: نعم. فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم. ثم أصبحت أبكي. فدعا رسول الله ﷺ عليا بن أبي طالب وأسامة بن زيد - رضي الله عنهما - حين استلبث الوحي يستشيرهما في فراق أهله. قالت: فأما أسامة فأشار عليه بما يعلم من براءة أهله، وبالذي يعلم في نفسه من الود لهم. فقال أسامة: هم أهلك يا رسول الله، ولا نعلم والله إلا خيرا. وأما علي بن أبي طالب فقال: يا رسول الله لم يضيق الله عليك، والنساء سواها كثير، وسل الجارية تخبرك. قالت: فدعا رسول الله ﷺ بريرة فقال لها: أي بريرة، هل رأيت فيها شيئا يريبك؟ فقالت: لا والذي بعثك بالحق نبيا إن رأيت منها أمرا أغمصه عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها، فتأتي الداجن فتأكله. قالت: فقام رسول الله ﷺ من يومه، واستعذر من عبد الله بن أبي بن سلول. فقال وهو على المنبر: من يعذرني من رجل بلغني أذاه في أهلي؟ فوالله ما علمت على أهلي إلا خيرا. ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خيرا، وما كان يدخل على أهلي إلا معي. قالت: فقام سعد بن معاذ – رضي الله عنه – فقال: يا رسول الله أنا والله أعذرك منه. إن كان من الأوس ضربنا عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا فيه أمرك. فقام سعد بن عبادة – رضي الله عنه – وهو سيد الخزرج، وكان رجلا صالحا ولكن أخذته الحمية. فقال لسعد بن معاذ: كذبت لعمر الله، لا تقتله ولا تقدر على ذلك. فقام أسيد بن حضير رضي الله عنه وهو ابن عم سعد بن معاذ فقال لسعد بن عبادة: كذبت – لعمر الله – لنقتلنه، فإنك منافق تجادل عن المنافقين. فثار الحيان – الأوس والخزرج - حتى هموا أن يقتتلوا، ورسول الله ﷺ على المنبر، فلم يزل يخفظهم حتى سكتوا ونزل.

وبكيت يومي ذلك لا يرقأ لي دمع، ولا أكتحل بنوم. ثم بكيت ليلتي المقبلة لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم. فأصبح أبواي عندي، وقد بكيت ليلتين ويوما،

حتى أظن أن البكاء فالق كبدي. فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي إذ استأذنت امرأة من الأنصار، فأذنت لها، فجلست تبكي معي. فبينما نحن كذلك إذ دخل علينا رسول الله ﷺ ثم جلس، ولم يجلس عندي من يوم قيل في ما قيل قبلها، وقد مكث شهرا لا يوحى إليه في شأني بشيء، فتشهد حين جلس، ثم قال: "أما بعد فأنه بلغني عنك كذا وكذا. فإن كنت بريئة فسيبرئك الله تعالى، وإن كنت ألمت بذنب فاستغفري الله تعالى وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله تعالى عليه". فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته قلص دمعي حتى ما أحس منه بقطرة. فقلت لأبي: أجب عني رسول الله ﷺ فيما قال. قال: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ. فقلت لأمي: أجيبي عني رسول الله ﷺ فيما قال. قالت: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ. قالت: وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيرا من القرآن. فقلت: إني والله أعلم أنكم سمعتم حديثا تحدث الناس به، واستقر في نفوسكم، وصدقتم به. فلئن قلت لكم: إني بريئة لا تصدقوني بذلك. ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أني منه بريئة، لتصدقنني. فوالله ما أجد لي ولكم مثلا إلا أبا يوسف إذ قال: "فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون". ثم تحولت فاضطجعت على فراشي، وأنا والله حينئذ أعلم أني بريئة، وأن الله تعالى مبرئي ببراءتي. ولكن والله ما كنت أظن أن ينزل الله تعالى في شأني وحيا يتلى؛ ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله تعالى في بأمر يتلى؛ ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرئني الله تعالى بها. فوالله ما رام مجلسه، ولا خرج أحد من أهل البيت، حتى أنزل الله تعالى على نبيه ﷺ فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء، فسري عنه، وهو يضحك، فكان أول كلمة تكلم بها أن قال لي: يا عائشة احمدي الله تعالى فإنه قد برأك. فقالت لي أمي: قومي إلى رسول الله ﷺ فقلت: والله لا أقوم إليه، ولا أحمد إلا الله تعالى، هو الذي أنزل براءتي. فأنزل الله تعالى: إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم... العشر الآيات. فلما أنزل الله تعالى

هذا في براءتي قال أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه وفقره: والله لا أنفق على مسطح شيئا أبدا بعد ما قال لعائشة - رضي الله عنها - فأنزل الله تعالى: (ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة...) إلى قوله: (والله غفور رحيم). فقال أبو بكر - رضي الله عنه - بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي، فرجع إلى مسطح النفقة التي كان يجري عليه، وقال: والله لا أنزعها منه أبدا. قالت عائشة رضي الله عنها: وكان رسول الله ﷺ سأل زينب بنت جحش عن أمري، فقال: يا زينب، ما علمت وما رأيت؟ فقالت: يا رسول الله أحمي سمعي وبصري، والله ما علمت عليها إلا خيرا. وهي التي كانت تساميني من أزواج النبي ﷺ فعصمها الله تعالى بالورع. قالت: فطفقت أختها حمنة تحارب لها، فهلكت فيمن هلك من أصحاب الإفك.

وهكذا عاش رسول الله ﷺ وأهل بيته. وعاش أبو بكر - رضي الله عنه - وأهل بيته. وعاش صفوان بن المعطل. وعاش المسلمون جميعا هذا الشهر كله في مثل هذا الجو الخانق، وفي ظل تلك الآلام الهائلة، بسبب حديث الإفك الذي نزلت فيه تلك الآيات.

وإن الإنسان ليقف متململا أمام هذه الصورة الفظيعة لتلك الفترة الأليمة في حياة الرسول ﷺ وأمام تلك الآلام العميقة اللاذعة لعائشة زوجه المقربة. وهي فتاة صغيرة في نحو السادسة عشرة. تلك السن المليئة بالحساسية المرهفة والرفرفة الشفيقة.

فها هي ذي عائشة الطيبة الطاهرة. ها هي ذي في براءتها ووضاءة ضميرها، ونظافة تصوراتها، ها هي ذي ترمي في أعز ما تعتز به. ترمى في شرفها. وهي ابنة الصديق الناشئة في العش الطاهر الرفيع. وترمى في أمانتها. وهي زوج محمد بن عبد الله من ذروة بني هاشم. وترمى في وفائها. وهي الحبيبة المدللة القريبة من

ذلك القرب الكبير... ثم ترمى في إيمانها. وهي المسلمة الناشئة في حجر الإسلام، من أول يوم تفتحت عيناها فيه على الحياة. وهي زوج رسول الله ﷺ.

ها هي ذي ترمى، وهي بريئة غارة غافلة، لا تحتاط لشيء، ولا تتوقع شيئا؛ فلا تجد ما يبرئها إلا أن ترجو في جناب الله، وتترقب أن يرى رسول الله ﷺ رؤيا، تبرئها مما رميت به. ولكن الوحي يتلبث، لحكمة يريدها الله، شهرا كاملا؛ وهي في مثل هذا العذاب.

ويا لله لها وهي تفاجأ بالنبإ من أم مسطح. وهي مهدودة من المرض. فتعاودها الحمى وهي تقول لأمها في أسى: سبحان الله! وقد تحدث الناس بهذا؟ وفي رواية أخرى تسأل: وقد علم به أبي؟ فتجيب أمها: نعم! فتقول: ورسول الله ﷺ؟ - فتجيبها أمها كذلك: نعم!

ويا لله لها ورسول الله ﷺ نبيها الذي تؤمن به ورجلها الذي تحبه، يقول لها: "أما بعد فأنه بلغني عنك كذا وكذا؛ فإن كنت بريئة فسيبرئك الله تعالى، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله تعالى وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه"... فتعلم أنه شاك فيها، لا يستيقن من طهارتها، ولا يقضي في تهمتها. وربه لم يخبره بعد، ولم يكشف له عن براءتها التي تعلمها ولكن لا تملك إثباتها؛ فتمسي وتصبح وهي متهمة في ذلك القلب الكبير الذي أحبها، وأحلها في سويدائه!

وها هو ذا أبو بكر الصديق - في وقاره وحساسيته وطيب نفسه - يلذعه الألم، وهو يرمى في عرضه. في ابنته زوج محمد ﷺ - صاحبه الذي يحبه ويطمئن إليه، ونبيه الذي يؤمن به ويصدقه تصديق القلب المتصل، لا يطلب دليلا من خارجه... وإذا الألم يفيض على لسانه، وهو الصابر المحتسب القوي على الألم، فيقول: والله ما رمينا بهذا في جاهلية! أفنرضى به في الإسلام؟ وهي كلمة تحمل

من المرارة ما تحمل. حتى إذا قالت له ابنته المريضة المعذبة: أجب عني رسول الله ﷺ قال في مرارة هامدة: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ!

وأم رومان - زوج الصديق رضي الله عنهما - وهي تتماسك أمام ابنتها المفجوعة في كل شيء. المريضة التي تبكي حتى تظن أن البكاء فالق كبدها. فتقول لها: يا بنية هوني على نفسك الشأن، فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا أكثرن عليها... ولكن هذا التماسك يتزايل وعائشة تقول لها: أجيبي عني رسول الله ﷺ فتقول كما قال زوجها من قبل: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ!

والرجل المسلم الطيب الطاهر المجاهد في سبيل الله صفوان بن المعطل. وهو يرمي بخيانة نبيه في زوجه. فيرمي بذلك في إسلامه، وفي أمانته، وفي شرفه، وفي حميته. وفي كل ما يعتز به صحابي، وهو من ذلك كله برىء. وهو يفاجأ بالاتهام الظالم وقلبه بريء من تصوره، فيقول: سبحان الله! والله ما كشفت كتف أنثى قط. ويعلم أن حسان بن ثابت يروج لهذا الإفك عنه، فلا يملك نفسه أن يضربه بالسيف على رأسه ضربة تكاد تودي به. ودافعه إلى رفع سيفه على امرئ مسلم، وهو منهي عنه، أن الألم قد تجاوز طاقته، فلم يملك زمام نفسه الجريح...!

ثم ها هو ذا رسول الله ﷺ وهو رسول الله، وهو في الذروة من بني هاشم... ها هو ذا يرمى في بيته. وفي من؟ في عائشة التي حلت من قلبه في مكان الابنة والزوج والحبيبة. وها هو ذا يرمى في طهارة فراشه، وهو الطاهر الذي تفيض منه الطهارة. وها هو ذا يرمي في صيانة حرمته، وهو القائم على الحرمات في أمته. وها هو ذا يرمى في حياطة ربه له، وهو الرسول المعصوم من كل سوء.

ها هو ذا ﷺ يرمى في كل شيء حين يرمى في عائشة - رضي الله عنها - يرمى في فراشه وعرضه، وقلبه ورسالته. يرمى في كل ما يعتز به عربي، وكل ما

يعتز به نبي... ها هو ذا يرمى في هذا كله؛ ويتحدث الناس به في المدينة شهرا كاملا، فلا يملك أن يضع لهذا كله حدا. والله يريد لحكمة يراها أن يدع هذا الأمر شهرا كاملا لا يبين فيه بيانا. ومحمد الإنسان يعاني ما يعانيه الإنسان في هذا الموقف الأليم. يعاني من العار، ويعاني فجيعة القلب؛ ويعاني فوق ذلك الوحشة المؤرقة. الوحشة من نور الله الذي اعتاد أن ينير له الطريق... والشك يعمل في قلبه - مع وجود القرائن الكثيرة على براءة أهله، ولكنه لا يطمئن نهائيا إلى هذه القرائن - والفرية تفوح في المدينة، وقلبه الإنساني المحب لزوجه الصغيرة يتعذب بالشك؛ فلا يملك أن يطرد الشك. لأنه في النهاية بشر، ينفعل في هذا انفعالات البشر. وزوج لا يطيق أن يمس فراشه. ورجل تتضخم بذرة الشك في قلبه متى استقرت، ويصعب عليه اقتلاعها دون دليل حاسم.

وها هو ذا يثقل عليه العبء وحده، فيبعث إلى أسامة بن زيد، حبه القريب إلى قلبه... ويبعث إلى علي بن أبي طالب، ابن عمه وسنده. يستشيرهما في خاصة أمره. فأما علي فهو من عصب محمد، وهو شديد الحساسية بالموقف لهذا السبب. ثم هو شديد الحساسية بالألم والقلق اللذين يعتصران قلب محمد، ابن عمه وكافله. فهو يشير بأن الله لم يضيق عليه. ويشير مع هذا بالتثبت من الجارية ليطمئن قلب رسول الله ﷺ ويستقر على قرار. وأما أسامة فيدرك ما بقلب رسول الله ﷺ من الود لأهله، والتعب لخاطر الفراق، فيشير بما يعلمه من طهارة أم المؤمنين، وكذب المفترين الأفاكين.

ورسول الله ﷺ في لهفة الإنسان، وفي قلق الإنسان، يستمد من حديث أسامة، ومن شهادة الجارية مددا وقوة يواجه بهما القوم في المسجد، فيستعذر ممن نالوا عرضه، ورموا أهله، ورموا رجلا من فضلاء المسلمين لا يعلم أحد عليه من سوء... فيقع بين الأوس والخزرج ما يقع من تناور - وهم في مسجد رسول الله ﷺ وفي حضرة رسول الله ﷺ ويدل هذا على الجو الذي كان يظلل الجماعة

المسلمة في هذه الفترة الغربية، وقد خدشت قداسة القيادة، ويحز هذا في نفس الرسول ﷺ والنور الذي اعتاد أن يسعفه لا ينير له الطريق! فإذا هو يذهب إلى عائشة نفسها يصارحها بما يقول الناس؛ ويطلب منها هي البيان الشافي المريح!

وعندما تصل الآلام إلى ذروتها على هذا النحو يتعطف عليه ربه، فيتنزل القرآن ببراءة عائشة الصديقة الطاهرة؛ وبراءة بيت النبوة الطيب الرفيع؛ ويكشف المنافقين الذين حاكوا هذا الإفك، ويرسم الطريق المستقيم للجماعة المسلمة في مواجهة مثل هذا الشأن العظيم.

ولقد قالت عائشة عن هذا القرآن الذي تنزل: "وأنا والله أعلم حينئذ أني بريئة، وأن الله تعالى مبرئي ببراءتي. ولكني والله ما كنت أظن أن ينزل الله تعالى في شأني وحيا يتلى. ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله في بأمر يتلى. ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرئني الله تعالى بها"...

ولكن الأمر - كما يبدو من ذلك الاستعراض - لم يكن أمر عائشة - رضي الله عنها - ولا قاصرا على شخصها. فلقد تجاوزها إلى شخص الرسول ﷺ ووظيفته في الجماعة يومها. بل تجاوزه إلى صلته بربه ورسالته كلها. وما كان حديث الإفك رمية لعائشة وحدها، إنما كان رمية للعقيدة في شخص نبيها وبانيها... من أجل ذلك أنزل الله القرآن ليفصل في القضية المبتدعة، ويرد المكيدة المدبرة، ويتولى المعركة الدائرة ضد الإسلام ورسول الإسلام؛ ويكشف عن الحكمة العليا وراء ذلك كله؛ وما يعلمها إلا الله:

إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم. لا تحسبوه شرا لكم، بل هو خير لكم. لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم. والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم.

فهم ليسوا فردا ولا أفرادا؛ إنما هم (عصبة) متجمعة ذات هدف واحد. ولم يكن عبد الله بن أبي بن سلول وحده هو الذي أطلق ذلك الإفك. إنما هو الذي

تولى معظمه. وهو يمثل عصبة اليهود أو المنافقين، الذين عجزوا عن حرب الإسلام جهرة ؛ فتواروا وراء ستار الإسلام ليكيدوا للإسلام خفية. وكان حديث الإفك إحدى مكائدهم القاتلة. ثم خدع فيها المسلمون فخاض منهم من خاض في حديث الإفك كحمنة بنت جحش؛ وحسان بن ثابت، ومسطح بن أثاثة. أما أصل التدبير فكان عند تلك العصبة، وعلى رأسها ابن سلول، الحذر الماكر، الذي لم يظهر بشخصه في المعركة، ولم يقل علانية ما يؤخذ به، فيقاد إلى الحد. إنما كان يهمس به بين ملئه الذين يطمئن إليهم، ولا يشهدون عليه. وكان التدبير من المهارة والخبث بحيث أمكن أن ترجف به المدينة شهرا كاملا، وأن تتداوله الألسنة في أطهر بيئة وأتقاها!

وقد بدأ السياق ببيان تلك الحقيقة ليكشف عن ضخامة الحادث، وعمق جذوره، وما وراءه من عصبة تكيد للإسلام والمسلمين هذا الكيد الدقيق العميق اللئيم، ثم سارع بتطمين المسلمين من عاقبة هذا الكيد: (لا تحسبوه شرا لكم ؛ بل هو خير لكم)...

خير، فهو يكشف عن الكائدين للإسلام في شخص رسول الله ﷺ وأهل بيته. وهو يكشف للجماعة المسلمة عن ضرورة تحريم القذف وأخذ القاذفين بالحد الذي فرضه الله؛ ويبين مدى الأخطار التي تحيق بالجماعة لو أطلقت فيها الألسنة تقذف المحصنات الغافلات المؤمنات. فهي عندئذ لا تقف عند حد، إنما تمضي صعدا إلى أشرف المقامات، وتتطاول إلى أعلى الهامات، وتعدم الجماعة كل وقاية وكل تحرج وكل حياء.

وهو خير أن يكشف الله للجماعة المسلمة - بهذه المناسبة - عن المنهج القويم في مواجهة مثل هذا الأمر العظيم.

أما الآلام التي عاناها رسول الله ﷺ وأهل بيته، والجماعة المسلمة كلها، فهي ثمن التجربة، وضريبة الابتلاء، الواجبة الأداء!

أما الذين خاضوا في الإفك، فلكل منهم بقدر نصيبه من تلك الخطيئة: (لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم)... ولكل منهم نصيبه من سوء العاقبة عند الله. وبئس ما اكتسبوه، فهو إثم يعاقبون عليه في حياتهم الدنيا وحياتهم الأخرى: (والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم) يناسب نصيبه من ذلك الجرم العظيم.

والذي تولى كبره، وقاد حملته، واضطلع منه بالنصيب الأوفى، كان هو عبد الله بن أبي بن سلول، رأس النفاق، وحامل لواء الكيد. ولقد عرف كيف يختار مقتلا، لولا أن الله كان من ورائه محيطا، وكان لدينه حافظا، ولرسوله عاصما، وللجماعة المسلمة راعيا... ولقد روي أنه لما مر صفوان بن المعطل بهودج أم المؤمنين، وابن سلول في ملأ من قومه قال: من هذه؟ فقالوا: عائشة رضي الله عنها... فقال: والله ما نجت منه ولا نجا منها. وقال: امرأة نبيكم باتت مع رجل حتى أصبحت؛ ثم جاء يقودها!

وهي قولة خبيثة راح يذيعها - عن طريق عصبة النفاق - بوسائل ملتوية. بلغ من خبثها أن تموج المدينة بالفرية التي لا تصدق، والتي تكذبها القرائن كلها، وأن تلوكها ألسنة المسلمين غير متحرجين، وأن تصبح موضوع أحاديثهم شهرا كاملا. وهي الفرية الجديرة بأن تنفى وتستبعد للوهلة الأولى.

وإن الإنسان ليدهش - حتى اليوم - كيف أمكن أن تروج فرية ساقطة كهذه في جو الجماعة المسلمة حينذاك. وأن تحدث هذه الآثار الضخمة في جسم الجماعة، وتسبب هذه الآلام القاسية لأطهر النفوس وأكبرها على الإطلاق.

لقد كانت معركة خاضها رسول الله ﷺ وخاضتها الجماعة المسلمة يومذاك. وخاضها الإسلام. معركة ضخمة لعلها أضخم المعارك التي خاضها رسول الله

ﷺ وخرج منها منتصرا كاظما لآلامه الكبار، محتفظا بوقار نفسه وعظمة قلبه وجميل صبره. فلم تؤثر عنه كلمة واحدة تدل على نفاد صبره وضعف احتماله. والآلام التي تناوشه لعلها أعظم الآلام التي مرت به في حياته. والخطر على الإسلام من تلك الفرية من أشد الأخطار التي تعرض لها في تاريخه.

ولو استشار كل مسلم قلبه يومها لأفتاه؛ ولو عاد إلى منطق الفطرة لهداه. والقرآن الكريم يوجه المسلمين إلى هذا المنهج في مواجهة الأمور، بوصفه أول خطوة في الحكم عليها:

(لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا، وقالوا: هذا إفك مبين).

نعم كان هذا هو الأولى... أن يظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا. وأن يستبعدوا سقوط أنفسهم في مثل هذه الحمأة... وامرأة نبيهم الطاهرة وأخوهم الصحابي المجاهد هما من أنفسهم. فظن الخير بهما أولى. فإن ما لا يليق بهم لا يليق بزوج رسول الله ﷺ ولا يليق بصاحبه الذي لم يعلم عنه إلا خيرا... كذلك فعل ابو أيوب خالد بن زيد الأنصاري وامرأته - رضي الله عنهما - كما روى الإمام محمد ابن إسحاق: أن أبا أيوب قالت له امرأته أم أيوب: يا أبا أيوب أما تسمع ما يقول الناس في عائشة - رضي الله عنها؟ - قال: نعم، وذلك الكذب. أكنت فاعلة ذلك يا أم أيوب؟ قالت: لا والله ما كنت لأفعله. قال: فعائشة والله خير منك... ونقل الإمام محمود بن عمر الزمخشري في تفسيره الكشاف أن أبا أيوب الأنصاري قال لأم أيوب: ألا ترين ما يقال؟ فقالت: لو كنت بدل صفوان أكنت تظن بحرمة رسول الله ﷺ سوءا؟ قال: لا. قالت: ولو كنت أنا بدل عائشة - رضي الله عنها - ما خنت رسول الله ﷺ فعائشة خير مني، وصفوان خير منك...

وكلتا الروايتين تدلان على أن بعض المسلمين رجع إلى نفسه واستفتى قلبه، فاستبعد أن يقع ما نسب إلى عائشة، وما نسب إلى رجل من المسلمين: من معصية لله وخيانة لرسوله، وارتكاس في حمأة الفاحشة، لمجرد شبهة لا تقف للمناقشة!

هذه هي الخطوة الأولى في المنهج الذي يفرضه القرآن لمواجهة الأمور. خطوة الدليل الباطني الوجداني. فأما الخطوة الثانية فهي طلب الدليل الخارجي والبرهان الواقعي:

[لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾] [1]

لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء! فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون... وهذه الفرية الضخمة التي تتناول أعلى المقامات، وأطهر الأعراض، ما كان ينبغي أن تمر هكذا سهلة هينة؛ وأن تشيع هكذا دون تثبت ولا بينة؛ وأن تتقاذفها الألسنة وتلوكها الأفواه دون شاهد ولا دليل: لولا جاؤوا عليه بأربعة شهداء! وهم لم يفعلوا فهم كاذبون إذن. كاذبون عند الله الذي لا يبدل القول لديه، والذي لا يتغير حكمه، ولا يتبدل قراره. فهي الوصمة الثابتة الصادقة الدائمة التي لا براءة لهم منها، ولا نجاة لهم من عقباها.

هاتان الخطوتان: خطوة عرض الأمر على القلب واستفتاء الضمير. وخطوة التثبت بالبينة والدليل... غفل عنهما المؤمنون في حادث الإفك؛ وتركوا الخائضين يخوضون في عرض رسول الله ﷺ وهو أمر عظيم لولا لطف الله لمس الجماعة كلها البلاء العظيم. فالله يحذرهم أن يعودوا لمثله أبدا بعد هذا الدرس الأليم:

(ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم...).

لقد احتسبها الله للجماعة المسلمة الناشئة درسا قاسيا. فأدركهم بفضله ورحمته ولم يمسسهم بعقابه وعذابه. فهي فعلة تستحق العذاب العظيم. العذاب

[1]- سورة النور، الآيتان: 13-14

الذي يتناسب مع العذاب الذي سببوه للرسول ﷺ وزوجه وصديقه وصاحبه الذي لا يعلم عليه إلا خيرا. والعذاب الذي يتناسب مع الشر الذي ذاع في الجماعة المسلمة وشاع؛ ومس كل المقدسات التي تقوم عليها حياة الجماعة. والعذاب الذي يناسب خبث الكيد الذي كادته عصبة المنافقين للعقيدة لتقتلعها من جذورها حين تزلزل ثقة المؤمنين بربهم ونبيهم وأنفسهم طوال شهر كامل، حافل بالقلق والقلقة والحيرة بلا يقين! ولكن فضل الله تدارك الجماعة الناشئة، ورحمته شملت المخطئين، بعد الدرس الأليم.

والقرآن يرسم صورة لتلك الفترة التي أفلت فيها الزمام؛ واختلت فيها المقاييس، واضطربت فيها القيم، وضاعت فيها الأصول:

(إذ تلقونه بألسنتكم، وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم؛ وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم)...

وهي صورة فيها الخفة والاستهتار وقلة التحرج، وتناول أعظم الأمور وأخطرها بلا مبالاة ولا اهتمام:

(إذ تلقونه بألسنتكم)... لسان يتلقى عن لسان، بلا تدبر ولا ترو ولا فحص ولا إمعان نظر، حتى لكأن القول لا يمر على الآذان، ولا تتملاه الرؤوس، ولا تتدبره القلوب! (وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم)... بأفواهكم لا بوعيكم ولا بعقلكم ولا بقلبكم. إنما هي كلمات تقذف بها الأفواه، قبل أن تستقر في المدارك، وقبل أن تتلقاها العقول... (وتحسبونه هينا) أن تقذفوا عرض رسول الله ﷺ وأن تدعوا الألم يعصر قلبه وقلب زوجه وأهله، وأن تلوثوا بيت الصديق الذي لم يرم في الجاهلية؛ وأن تتهموا صحابيا مجاهدا في سبيل الله. وأن تمسوا عصمة رسول الله ﷺ وصلته بربه، ورعاية الله له... (وتحسبونه هينا)...

(وهو عند الله عظيم).. وما يعظم عند الله إلا الجليل الضخم الذي تزلزل له الرواسي، وتضج منه الأرض والسماء.

[إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾] [1].

ولقد كان ينبغي أن تجفل القلوب من مجرد سماعه، وأن تتحرج من مجرد النطق به، وأن تنكر أن يكون هذا موضوعا للحديث؛ وأن تتوجه إلى الله تنزهه عن أن يدع نبيه لمثل هذا؛ وأن تقذف بهذا الإفك بعيدا عن ذلك الجو الطاهر الكريم: (ولولا إذ سمعتموه قلتم: ما يكون لنا أن نتكلم بهذا. سبحانك! هذا بهتان عظيم).

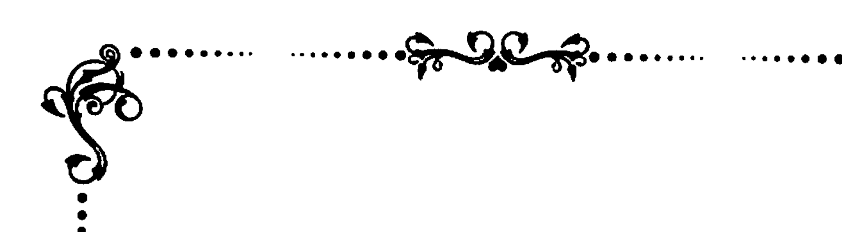
وعندما تصل هذه اللمسة إلى أعماق القلوب فتهزها هزا؛ وهي تطلعها على ضخامة ما جنت وبشاعة ما عملت... عندئذ يجيء التحذير من العودة إلى مثل هذا الأمر العظيم: (يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا إن كنتم مؤمنين)...

(يعظكم)... في أسلوب التربية المؤثر، في أنسب الظروف للسمع والطاعة والاعتبار، مع تضمين اللفظ معنى التحذير من العودة إلى مثل ما كان: (يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا)... ومع تعليق إيمانهم على الانتفاع بتلك العظة: (إن كنتم

[1]- سورة النور، الآيتان 15-19.

مؤمنين)... فالمؤمنون لا يمكن أن يكشف لهم عن بشاعة عمل كهذا الكشف، وأن يحذروا منه مثل هذا التحذير، ثم يعودوا إليه وهم مؤمنون:

(ويبين الله لكم الآيات)... على مثال ما بين في حديث الإفك، وكشف عما وراءه من كيد، وما وقع فيه من خطايا وأخطاء: (والله عليم حكيم) يعلم البواعث والنوايا والغايات والأهداف؛ ويعلم مداخل القلوب، ومسارب النفوس. وهو حكيم في علاجها، وتدبير أمرها، ووضع النظم والحدود التي تصلح بها...



الفصل الثالث

الرؤية السياسية للإشاعة

حركة مجتمع السلم نموذجا





إن التعاطي مع الأحداث المتسارعة والأخبار المتناقضة والإشاعات المغرضة التي تتصاعد يوما بعد يوم في شكل "مزايدات وطنية ومحلية ودولية" والوطنية في بورصة الإعلام الجزائري الخاص ولا أقول المستقل، والذي تحتكره مجموعات امتياز استطاعت في لحظات تاريخية أن تنتهز فرصة إعلامية ومالية تتخذ من الإثارة أسلوبا في التعاطي مع الأحداث الوطنية في ظرف تاريخي مشهود تمر به الجزائر وهي في منعطف حاسم تحتاج إلى "منطق البناء" و"برامج التنشئة والتربية المكثفة" في قضايا الديمقراطية وحقوق الإنسان والتعامل مع الآخر وتنظيم الذات في فضاءات المجتمع المدني" أكثر مما هي في حاجة على الإثارة والتعاطي مع القيم السياسية والاجتماعية بمنطق الربح السريع، وتأليب الرأي العام بعد تضليله، تحت مسمى حرية التعبير والديمقراطية، سيما وأننا نعيش في مجتمع مر بمراحل عصيبة طيلة 175 سنة من الاستدمار والاستبداد والإرهاب.

معركة التضليل الإعلامي:

إن استعراض تاريخ الصحافة في الجزائر نصل من خلاله إلى تقييم لا يوفر فرص اتخاذ وإصدار الأحكام بقدر ما يتيح الإشارة إلى أن الظاهرة الإعلامية في الجزائر هي ظاهرة في سياق نمو المشروع الديمقراطي، ولكنها أصيبت للأسف الشديد كما أصيبت التعددية السياسية بمرض "جنون البشر" ولا أقول "جنون البقر" بالرغم من أن الساحة السياسية والإعلامية في الجزائر يوجد بها الكثير من البقر المجنون يرعاه بشر أكثر جنونا.

وأبرز ما يميز هذا الجنون هو حروب الإشاعة والدعاية والقصف الإعلامي الذي صار هو البرنامج المفضل لدى أغلب الخطوط الافتتاحية في أكثر من جريدة يومية وأسبوعية، وصار لعلم "أركيلوجيا الكذب" دعاته وأنصاره في الإعلام الجزائري، وكأني بالتجربة الأمريكية في التعامل مع المراسلين الصحفيين لها في كل

النقاط الساخنة في العالم، تجد لها أنصارا في الجزائر، سيما إذا استعرضنا ما تتعرض له الصحفية الأمريكية التي كانت تتعامل مع ديك تشيني ورامسفيلد في معركة التضليل الإعلامي الذي قادته هذه الصحفية ضد العراق وأفغانستان في كشفها لملفات مزعومة عن امتلاك السلاح النووي وبعض التجارب العلمية الأخرى، ومع بروز مؤشر أفضلية 'الاستعلامي' على الإعلامي' في المراسلين الأمريكيين اليوم، الذين أخذوا مواقعهم كجنود يحملون سلاحا أمضى من الميركافا والدبابة وf16 في صفوف جيش التحالف في العراق وأفغانستان، ذلك أن التجربة الأمريكية أصبحت اليوم- مع وجود العديد من رجال الإعلام الأمريكيين المنصفين الذين يتعاملون مع الحقيقة والخبر بمنطق احترافي مغاير من الذين أصبحوا عرضة للملاحقة والتضييق- في دولة تؤسس للديموقراطية وحقوق الإنسان والحريات والإصلاح السياسي من خلال معهد نشر الديمقراطية، في مقابل التأسيس لمركز التضليل الإعلامي الأمريكي في أعقاب تفجيرات 11 سبتمبر 2001، هذا المعهد الذي أصبح بالفعل يسوق للإشاعة والدعاية في مقابل التعتيم على الحقيقة بمنهجية التعويم ونشر المتناقضات وصياغة السيناريوهات الخيالية، وكل ذلك يضرب القيم السامية ويلغي الخصوصية ويشجع على الفوضى والبراجماتية والنفعية وشراء الذمم، ويوفر فرصا كبيرة وواسعة لتجار القيم وأنصاف المتعلمين وكل أصناف الرويبضات في شتى أصقاع العالم، وهو ما سيجعل من رؤية أشراط الساعة في وضح النهار.

استطراد مهم ونحن نتحدث عن مفردة الدعاية والإشاعة، لأنها انتقلت اليوم من مجرد وسيلة وآلية وسلاح في معركة إلى مشروع برنامج كبير في سياسة استباقية تؤشر على حرب واسعة، من شأنها أن تجفف منابع ومصادر التغيير المنشود، وتقبر مشاريع اليقظة والنهضة والمشاركة والتفاعل الحضاري، وتؤسس لصدام حضاري منتظر.

استهداف حركات التجديد:

وتعتبر الحركات التجديدية والمرجعيات الدينية والسياسية والنقابية الفئات الأكثر تعرضا لهذه الحرب، وعلى مر التاريخ والذي شهدت حقبة حلقات من الحرب الكلامية والإشاعة والدعاية والتشويه، وكانت أول من تستهدف قوى الأمة الحية التي تحمل مشاريع وبرامج إصلاح وتغيير، وكان أول هؤلاء الرسول الأكرم ﷺ فيما عرف في السيرة النبوية "بحادثة الافك" وعلى عدالة وأمانة وصفاء ونبوة الرسول صلى الله عليه وسلم فقد استهدفته الإشاعة في أقرب الناس إليه من أطهر خلق الله "زوجه عائشة رضي الله عنها". ولعل أعسر مرحلة تمر بها الحركة أو الجماعة التي تستهدفها إشاعة هو عندما تنتقل إلى داخلها ممن يسوقون لها، ويسقطون في شباك وشراك القصف الإعلامي المضلل. ولعل أصعب مرحلة تعيشها الحركات التغيرية هي عندما يوجد في داخلها من يمتهن الإشاعة والدعاية، بل صار يعتبر أخصائيو الدعاية أن وجود من يمتهن الإشاعة والدعاية والافك من داخل المنظمات بمثابة الدعاية العملاقة، في حين تعتبره التجربة اللينينية "بالون اختبار مؤثر في الدعاية السياسية".

نموذجية حركة مجتمع السلم:

ومرت الأمة بمثل هذه الحروب والمعارك ولعل حركة مجتمع السلم تمثل نموذجا بارزا في التعاطي مع الإشاعة والدعاية المضادة، حيث عاشت الحركة ما يزيد عن عقد من الزمن تحت وطأة الإشاعة المستمرة والمركزة على المنهج والرجال والمرجعيات والسياسات، وقد احترف بعض الصحفيين والسياسيين والأحزاب استهداف الحركة في كل مرحلة من مراحلها، ولاسيما قبيل وبعد وفاة مؤسسها الشيخ الرئيس محفوظ نحناح، وخاصة بعد المؤتمر الرابع للحركة، وهذه المرة من داخل الحركة للأسف، وكان مصطلح القصف الإعلامي واردا في كثير

من برامج الحركة وجامعاتها الصيفية، الوطنية والولائية، في بحث سبل التعامل معه، وكيفيات التقليل من آثار وحجم هذا القصف، ومع كل مرحلة تتعاطى حركة مجتمع السلم مع مشاريع الإفك والإشاعة والدعاية وسياسات الإضعاف والإلحاق، ومناهج "المرجفون في المدينة" بطرق ومناهج أكثر تقليدية ولكنها فعالة وفاعلية. وكان دائما للقيادة الوطنية والولائية والبلدية الدور الحاسم في كسر وتفكيك رموز الدعاية والإشاعة. ومع الزمن تكون لدى المناضلين والقيادات مناعة سياسية وتربوية ضد الإشاعة والدعاية حتى وإن كانت من داخل الصف، على اعتبار أن المنهجية السياسة التي أسس لها فضيلة الشيخ الرئيس محفوظ نحناح في التعامل مع الإشاعة والقصف الإعلامي صارت معلومة ومهضومة وتمثل قناعة راسخة لدى المناضلين، الذين صار لا ينطلي عليهم تضليل ولا تسويق الإشاعة مع تأكيد الإرباك والاستفزاز.

وقد كسبت الحركة المعركة والحرب معا في استحقاقات سياسية متعددة، واستطاعت بفضل النضالية العالية والمؤسسة الراقية، أن تؤسس لفعل سياسي هادئ وهادف، صعب على كل المتربصين النيل من استقرارها واستقلالها واستمرارها، وما تزال معركة الإشاعة والقصف الإعلامي متواصلة مع الحركة ولن تقف يوما واحدا، فهي مشروع يقتات منه الكثير. وبكل موضوعية وبدون تقييم حزبي ضيق أو مجاملة سياسة دعائية نقول لقد استطاعت الحركة المرور بسلام في معارك إعلامية كثيرة حتى صارت قواعد العمل فيها واضحة، والسياسات التي تحكم الموقف السياسي المؤسسي محددة، ولوائح التولية والتنحية شفافة، والظاهرة النضالية في حركة مجتمع السلم تختلف اختلافا جذريا على الظاهرة الإعلامية، وهو ما لم تدركه الجهات التي تقف وراء حملات القصف الإعلامي على الحركة ورجالاتها ومناهجها وسياساتها.

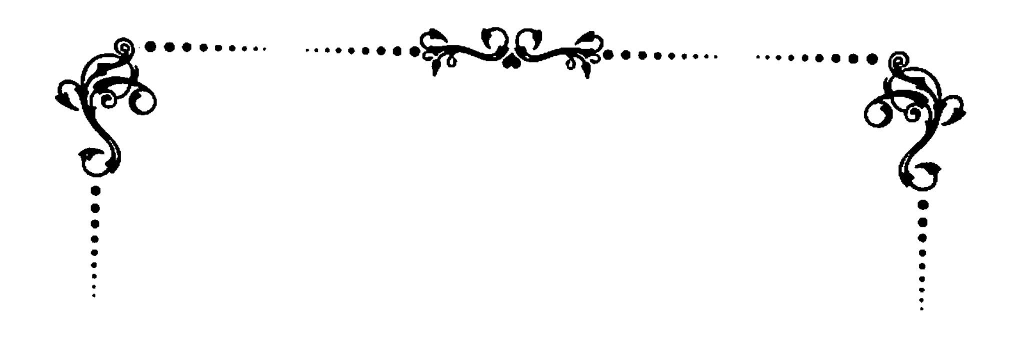
ويبقى في اختتام هذه البارقة أن نشير إلى أن المعارك التي ستدخلها الحركة في المستقبل هي معارك أكثر قوة وفاعلية، تحتاج منها إلى كثير من العلم والمعلومة والشورى والمؤسسية والانضباطية ورفع سقف التعاطي النضالي مع مشاريع وبرامج الحركة المتعلقة بالتكوين والتربية وامتلاك المهارات القيادية في كل الظروف، والطموح نحو الوصول إلى الجودة والاحترافية في التعامل والتعاطي مع الأحداث والأخبار، لأن المستقبل القريب سيفرض على الحركات النضالية والتجديدية مزيدا من التعامل مع الوسائط الإعلامية وبات التأسيس لفضاءات أكثر التصاقا بالمواطنين أكثر ضرورة، قصد الاضطلاع بدور التوعية والتعبئة والإرشاد والتبليغ والتبين والإيضاح، وهو دور لا بد أن تضطلع به القيادات والإطارات من خلال التأسيس لفضاءات تنمية الوعي وبناء الذات، قبل أن يصير مهمة نضالية في أوسع ساح التباري السياسي والانتخابي.

منهجية الرد على الإشاعة:

إن المنهجية الوحيدة المفضلة في الرد على الإشاعة هي الانتصاب قدوات ومراجع محلية ووطنية ميدانية أمام الشعب والأمة من خلال مختلف البرامج التربوية والاجتماعية والسياسية والعلمية والثقافية والإعلامية والخدمية. ذلك هو أمضى سلاح للرد على الإشاعة، لأنه من السهل على قيادة الحركة أن تؤسس لخلية وطنية تدرس الخطاب الدعائي ضد الحركة منهاجا وسياسات ورجالا وتفكك رموزه، وتوفر للمناضلين خطط العمل ومفردات الخطاب وهو ما يجب أن يكون فعلا. لكن من هذا الذي يباشر عملية التصحيح بعد الخطإ وعملية الترشيد بعد الغلو، وعملية التوضيح بعد الغبش، وعملية الدعاية في محيط الآخر، إلا ذلك المناضل في أبعد نقطة، الذي يشتغل كخلية النحل، يجوب الأسواق والملاعب وأماكن التواجد الشعبي، ويقوم بعملية البيان الذي يجب أن لا يتأخر

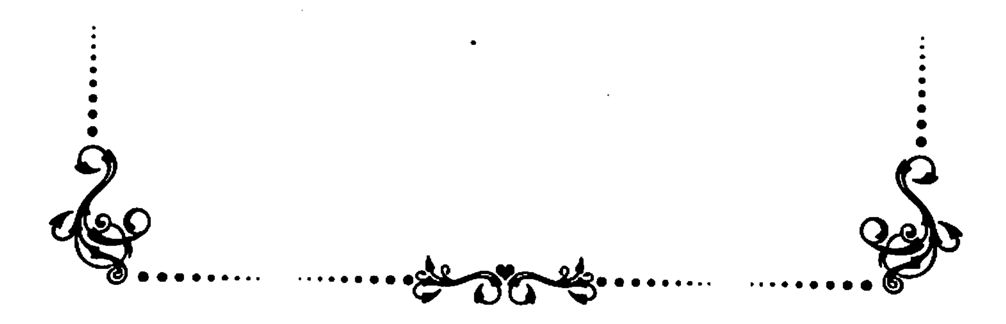
عن وقت الحاجة، متمثلا قول الشيخ الرئيس محفوظ نحناح رحمه الله المناضل عندنا إذاعة متنقلة.

إن خط الحركة السياسي خط رفيع يحتاج إلى دربة، ومواقفها تحتاج إلى تحليل وإقناع، لأنها لا تتعامل فقط مع المصالح الظاهرة والمفاسد الظاهرة ولكنها في مرات عديدة تتعامل مع المفسدتين الصغرى والكبرى ويلعب فقه الموازنات والأولويات دوره في التعاطي مع الأحداث، وهو فقه لا يستطيع المواطن البسيط فهمه، بالرغم من أنه وقف معه مرات عديدة من غير ما فهم، لكن مع توفر الثقة والمصداقية، وبروز حجية المواقف بعد اتخاذ القرارات الحاسمة، والمضمار مفتوح نحو تحقيق الشهود الحضاري. وسعد من ختمت حياته مرابطا على خط الشهود الأول، وتعس من فلسف النضالية إلى أرضية القعود مع المخلفين، ولا غنى لأحد عن مرجعية ملفات ومعلقات المسار والعوائق ومجموعة رسائل العين للراشد والفقه اللاهب للجويني، وقبل ذلك كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ثم سير الأنبياء والمرسلين والصالحين والزعماء والحركات التغييرية في التاريخ القديم والحديث والمعاصر.



الفصل الرابع

الرؤية الشرعية والتربوية



حصـائد الألسُن

إن الإشاعات الباطلة في بعض الأحيان تحرق أمة بكاملها، بمجرد إشاعة باطلة، واليوم أصبحت سريعة وسهلة للأسف، رسالة sms من خلال الموبايل يمكن أن يقوم أحدهم بنشر إشاعة باطلة... ونحن في الجزائر ربما ابتلينا بفيروس الإشاعات، رجل معقد مفسد فتّان نمام، يمكن أن يكون جاسوسا أو أجنبيا، يبث مثل هذه الإشاعات ويثير البلبلة في البلد، وربما قام صراع وحرب ذهبت بها حقوق وسفكتْ فيها دماء... ربنا سبحانه وتعالى يقول: إن الله رحمكم عندما أشعتم هذه الإشاعة ولم تنزل عليكم اللعنة من السماء ثم يقول ربنا ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ۝﴾.[1] وحَدَّثَنَا ابْنُ أَبِى عُمَرَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ الصَّنْعَانِىُّ عَنْ مَعْمَرٍ عَنْ عَاصِمِ بْنِ أَبِى النَّجُودِ عَنْ أَبِى وَائِلٍ عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِىِّ - صلى الله عليه وسلم- فِى سَفَرٍ فَأَصْبَحْتُ يَوْمًا قَرِيبًا مِنْهُ وَنَحْنُ نَسِيرُ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِى بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِى الْجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِى مِنَ النَّارِ. قَالَ «لَقَدْ سألتني عَنْ عَظِيمٍ وَإِنه لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ تَعْبُدُ اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَتُقِيمُ الصَّلاَةَ وَتُؤْتِى الزَّكَاةَ وَتَصُومُ رَمَضَانَ وَتَحُجُّ الْبَيْتَ». ثُمَّ قَالَ «أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ الصَّوْمُ جُنَّةٌ وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ وَصَلاَةُ الرَّجُلِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ». قَالَ ثُمَّ تَلاَ (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ) حَتَّى بَلَغَ (يَعْمَلُونَ) ثُمَّ قَالَ: «أَلاَ أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الأَمْرِ كُلِّهِ وَعَمُودِهِ وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ». قُلْتُ بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ «رَأْسُ الأَمْرِ الإسلام وَعَمُودُهُ الصَّلاَةُ وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ». ثُمَّ قَالَ «أَلاَ أُخْبِرُكَ بِمَلاَكِ ذَلِكَ كُلِّهِ». قُلْتُ بَلَى يَا نبي اللَّهِ قَالَ فَأَخَذَ بلسانه قَالَ: «كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا». فَقُلْتُ يَا نبي اللَّهِ وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ فَقَالَ

[1]- سورة النور، الآية 15.

«ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلاَّ حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ»[1]. قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

فاللسان تارة يزرع خيراً ويحصد خيرا في الدنيا وفي الجنة، وتارة يزرع شراً ويحصد شراً في جهنم.

فلسانك يمكن أن يحمد الله ويثني عليه ويسبحه ويصلّي على محمد وآل محمد فتنفتح أمامك أبواب السماء والأرض، ويمكن لهذا اللسان الذي يرفعك إلى أعلى عليين وأن ينزل بك أيضا إلى أسفل سافلين... ثم يقول ربنا في تلك السورة المباركة: ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾﴾[2]. هذا بهتان، ليس هيناً أن يتكلم الإنسان بكلام أو أن ينقله وهو ليس مطمئناً لصدقه، فعندما يتكلم أحد أمامك بسوء كمثل إشاعة باطلة فيجب عليك مباشرة أن ترده ولا تسمح له بالكلام وأوقفه عند حده وقل له إذا كان عندك دليل تكلم وإلا اسكت... لا يكفي للإنسان أن يدعي العلم، لابد أن يثبت ذلك... فلو تقدم أربعة رجال للشهادة عند الحاكم على جريمة زنا فشهد ثلاثة منهم وتأخر الرابع عن الحضور فإن الحاكم لا ينتظر حتى يأتي الشاهد الرابع بل يضعهم على الأرض ويجلد كل واحد منهم ثمانين جلدة وهو حد القذف. لماذا؟ حتى لا تشيع الفاحشة.

1- حديث حسن صحيح

2- سورة النور، الآية 16

مسؤولية المجتمع تجاه الإشاعة

إن الإشاعات الباطلة تحرق الأمم وتغرق الناس وتشعل الفتنة بينهم وهذه من أسوإ أنواع الفساد في الأرض، فما هو الفساد في الأرض؟ الإنسان قد يفسد في الأرض، يذهب إلى منطقة زراعية ويحرقها، هذا ذنب عظيم، ومرة قد لا يحرق الأرض بل يحرق الناس، وهو الخطر الاكبر... فمن أهم عوامل الفساد في الأرض هي الإشاعات...

إذن مسؤولية المجتمع فيما إذا انتشرت إشاعة تكون في أمرين، أحدهما: يجب أن يقف الناس أمام المسبب لهذه الإشاعة ويوقفوه عند حده. والأمر الآخر: ان لا ينشروا هذه الإشاعة ويتكلموا بها فإذا سكت الناس عن الإشاعة فأنها تموت وتتلاشى.

إذن هناك مسؤوليات للإنسان والمجتمع تجاه فكره وثقافته، ومسؤوليته تجاه الوقوف بوجه الإشاعات ومروجيها، ومن ثم عدم نشرها...

أما المسؤولية الحساسة وذات البال فهي أن تتوفر هناك وسيلة لنشر الأفكار الصحيحة والطيبة...[1] ولنضرب مثالا على ذلك بالحشرات، فالذباب مثلا ينقل الميكروب والأمراض ﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾﴾[2] في حين أن حشرة النحل هي بالعكس تأخذ الرحيق من الزهور وتجمعها وتحولها إلى عسل. ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾﴾[3].

وانت كإنسان من أي الصنفين تحب أن تكون؟ باستطاعتك أن تكون نحلة وتجمع

---

[1]- الأصفهاني، مفردات راغب الأصفهاني

[2]- سورة الحج، الآية 73.

[3]- سورة النحل، الآية 69.

الكلمات الطيبة والأفكار المفيدة وتنقلها من مكان إلى مكان، وللأسف في بعض الأحيان يمكن للإنسان أيضا أن يتحول إلى ذبابة وينقل الكلمات الخبيثة والأفكار السلبية من هنا إلى هناك...

القرآن ينير الطريق في التعامل مع الإشاعات

قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾﴾[1].

يقول الشهيد سيد قطب رحمه الله في الظلال[2]: الصورة التي يرسمها هذا النص هي صورة جماعة في التجمع الإسلامي، لم تألف نفوسهم النظام، ولم يدركوا قيمة الإشاعة في خلخلة التجمع، وفي النتائج التي تترتب عليها، وقد تكون قاصمة، لأنهم لم يرتفعوا إلى مستوى الأحداث، ولم يدركوا جدية الموقف، وأن كلمة عابرة وفلتة لسان، قد تجر من العواقب على الشخص ذاته، وعلى جماعته كلها ما لا يخطر له ببال، وما لا يتدارك بعد وقوعه بحال؟ أو ربما لأنهم لا يشعرون بالولاء الحقيقي الكامل لهذا التجمع.

وهكذا لا يعنيهم ما يقع له من جراء أخذ كل شائعة والجري بها هنا وهناك، وإذاعتها، حين يتلقاها لسان عن لسان، سواء كانت إشاعة أمن أو إشاعة خوف، فكلتاهما قد يكون لإشاعتها خطورة مدمرة، فإن إشاعة أمر الأمن مثلا في تجمع متأهب مستيقظ متوقع لحركة من العدو... إشاعة أمر الأمن في مثل هذا التجمع

---

[1]- سورة النساء، الآية 83

[2]- سيد قطب، في ظلال القرآن، تفسير الآية 83 من سورة النساء.

تحدث نوعا من التراخي مهما تكن الأوامر باليقظة، لأن اليقظة النابعة من التحفز للخطر غير اليقظة النابعة من مجرد الأوامر، وفي ذلك التراخي قد تكون القاضية.

كذلك إشاعة أمر الخوف في تجمع (أو حركة) مطمئن لقوته، ثابت الأقدام بسبب هذه الطمأنينة، قد تحدث إشاعة أمر الخوف فيه خلخلة وارتباكًا، وحركات لا ضرورة لها لاتقاء مظان الخوف، وقد تكون كذلك القاضية.

وعلى أية حال فهي سمة التجمع الذي لم يكتمل نظامه، أو لم يكتمل ولاؤه لقيادته، أو هما معًا، ويبدو أن هذه السمة وتلك كانتا واقعتين في المجتمع المسلم حينذاك، باحتوائه طوائف مختلفة المستويات في الإيمان، ومختلفة المستويات في الإدراك، ومختلفة المستويات في الولاء، وهذه الخلخلة هي التي كان يعالجها القرآن بمنهجه الرباني.

والقرآن يدل الجماعة المسلمة على الطريق الصحيح:

[وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ] [1].

فمهمة المناضل الطيب في الصف المسلم، الذي يقوده داعية مؤمن – بشرط الإيمان ذاك وحده- حين يبلغ إلى أذنيه خبر، أن يسارع فيخبر به نبيه أو رئيسه، لا أن ينقله ويذيعه بين زملائه، أو بين من لا شأن لهم به، لأن قيادته المؤمنة هي التي تملك استنباط الحقيقة، كما تملك تقدير المصلحة في إذاعة الخبر - حتى بعد ثبوته- أو عدم إذاعته (في ظلال القرآن للشهيد سيد قطب).

وهكذا كان القرآن يربي... فيغرس الإيمان والولاء للقيادة المؤمنة؛ ويعلم نظام الجندية في آية واحدة... بل بعض آية... فصدر الآية برسم صورة منفرة عن

[1]- سورة النساء، الآية 83

الجندي وهو يتلقى نبأ الأمن أو الخوف، فيحمله ويجري متنقلا، مذيعا له، من غير تثبت، ومن غير تمحيص، ومن غير رجعة إلى القيادة... ووسطها يعلم ذلك التعليم... وآخرها يربط القلوب بالله في هذا، ويذكرها بفضله، ويحركها إلى الشكر على هذا الفضل، ويحذرها من اتباع الشيطان الواقف بالمرصاد؛ الكفيل بإفساد القلوب لولا فضل الله ورحمته: (ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا)... آية واحدة تحمل هذه الشحنة كلها؛ وتتناول القضية من أطرافها؛ وتتعمق السريرة والضمير، وهي تضع التوحه والتعليم!!! ذلك أنه من عند الله... (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرًا)...

آفة استعجال نقل وإذاعة الأخبار

وبين الفينة والأخرى نسمع عن زلة كريم، أو هفوة عظيم، أو خبر عن مشهور أو قصةً لعالِم، أو حادثة لداعية، تنال من عرضه، أو تسيء إلى سمعته، أو تجرح عدالته، تطير بها الألسنة، وتتلقاها الآذان، وتُشيعُها وسائل الاتصال، وكأنما هي غنيمة ظفرنا بها، فتجد المجالس تعج بالأحاديث والتحليلات، ومواقعُ الأنترنت بالتفصيلات والتعليلات، وقليل مَن يُذَكِّر بمنهج هذا الدين العظيم، الذي يحمينا حتى من أنفسنا، فكيف نسعى نحن لفضح بعضنا بعضًا، أو إشاعة البلاء في مجتمعنا، إننا نحفظ أنفسنا وأعراضنا بستر غيرنا، ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة"[1]، ومَنْ منا لا يريد الستر لعرضه أو هناته أو أخطائه.

إنّ هذا الاستبشار الذي نراه على الوجوه، أو نسمعُه من الأفواه، أو نقرأه على الصفحات، أو تتناقله رسائل الجوال، عن وقوع إنسان في جريمة، أو القبض

[1]- رواه مسلم.

عليه متلبسًا بفاحشة، لهو أمر يجب الا يكون فينا، كيف نفرح بمثل هذا ونحن مأمورون بالستر على إخواننا؟

ذكر المناوي في شرحه للحديث السابق أنّ المراد هو ستر المسلم عند الاطلاع على ما يشينه في دينه وعرضه أو ماله وأهله، ويكون الجزاء عظيمًا سترُ من الله في الدنيا والآخرة.

ومَن اصرّ على نشر فضائح الناس وإذاعتها -أيًا كانوا وتحت أي مبرر- فليعلم أنه عرّض نفسه للفضيحة وهتك الستر، قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه الإمام احمد بسند صحيح: "يا معشر مَن آمن بلسانه، ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته، ومَن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف داره"[1]. قال بعض السلف: أدركت قومًا لم يكن لهم عيوب فذكروا عيوب الناس، فذكر الناس لهم عيوبًا، وادركت أناسًا كانت لهم عيوب، فكفوا عن عيوب الناس، فنُسيَت عيوبهم. إذًا لماذا نحن لا نرعى ذلك في إخواننا إذا حصلت من احدهم زلة، أو وقعت منه هفوة؟

ذُكر أنّ عثمان رضي الله عنه دُعي إلى قوم على ريبة، فانطلق ليأخذهم، فتفرقوا فلم يدركهم، فأعتق رقبة شكرًا لله تعالى؛ لأنه لم يجر على يديه خزيٌ لمسلم ا.هـ.

هذه هي الأخلاق، يعتق رقبة؛ لأن الله انجاهم وسترهم، ولم يطلع رضي الله عنه منهم على خزي، ولم يكن هو السبب في هتك سترهم، إنه رضي الله يفرح بالستر، ونحن اليوم نفرح بالهتك، وشتان بين الطريقين والمنهجين والخُلُقَين، خلق في الثرى، وخلق في الثريا.

1- رواه احمد بسند صحيح

أين نحن في مثل هذه الحال من ذلك التوجيه الرباني العظيم في شائعة الإفك؟ [لَّوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾] [1].

إنه منهج فريد في التعامل مع مثل هذه الأحداث والوقائع، إذا سمعت بخبر، أو قصة، أو حادثة؛ أساءَت إلى عرضِ مسلمٍ فتوقف، وقل: ربما لهُ من الخير ما لا أعرف، وإن كنتَ تعرف عنه الخير؛ فتذكّر كل صوره، وقل: إن له من الحسنات والأعمال الخيّرة ما يستر هذه الزلة إن حصلت، وبهذا ينهدم ما بناه الشيطان، ويتكسر ما شيده مفرق الجماعات (إبليس) على صخرة الثبات والتأني وحسن الظن بالمسلمين.

كيف يطيب لنا أن نتساهل بمثل هذه الأخبار، ونحن نسمع قوله تعالى: [إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾] [2] ؟ أنها آية ترسم لنا المنهج قويمًا، والصراط مستقيمًا.

إن المطلوب الاّ نستعجل باستقبال الأخبار، حتى إننا لا نسمعها بآذاننا، بل نتلقاها بالسنتنا (إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ)، أنها العجلة صورتها هذه الآية ابلغ تصوير، بل إنها اللهفةُ لسماع الأخبار السيئة عند بعض الخَلْق؛ كشفت عنها كلمة (تلقونه)، وكأنّ هذا الخبرَ السيئ غائبٌ يُنتَظَر، وحبيبٌ يُتَلَقّى.

أليس هذا موجودًا فينا؟ أليس مِنّا مَن تنفرج أساريره إذا أُشيع خبرٌ عن إنسان، أو قُبِضَ عليه؟ ألا يبادر بعضنا بإرسال رسالة وكأنما يبشر غيره؟

---

[1]- سورة النور، الآية 12.

[2]- سورة النور، الآية 15.

يا هذا، مهلاً، أليس هذا الرجل مسلمًا مثلك؟ أتحب أن يُفعَل معك مثلُ ما تَفعلُ أنت معه؟

ومما أشارت إليه الآية الكريمة غياب العلم عند هذا الصنف من نَقَلَةِ الأخبار كما في قوله تعالى: [وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ] [1]، وهذا أمر منطبق تمامًا على كثير من أخبارنا وطريقة نقلنا، فيكتفي كثيرٌ من الناس برسالة تأتي إلى جواله، ربما يكون فيها خبرٌ يسيء إلى مسلم، يكتفي مستقبلها بمصدر الخبر المجهول، ليقوم بإرسالها إلى العشرات وربما المئات، ولقد شاع هذا الأمر حتى إنه ربما يندر أن تجد اليوم مَن يتثبّت في الأخبار، ويتأنى في نشر القصص، وعجبًا والله لنا، أصبح التصرف الحكيم غريبًا وقليلاً، فلِمَ لا نفكر في تغيير حقيقي لحالنا، وتعديل سويٍّ لمنهجنا؟ وتشير الآية أيضًا إلى عدم تقدير كثير من الناس لخطورة تناقل هذه الأخبار، وما يترتب عليها من الآثار كما في قوله تعالى: (وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ) [2]، كيف يحق لنا بعد هذا أن نستهين بأمر عظيم عند الله؟ أترك الإجابة لكل عاقل.

كيف عالج الإسلام الإشاعة؟

بين الحين والأخر نسمع عن إشاعات تبث وتنشر وأكاذيب تبعث وترسل. هذه الإشاعات التي لها خطر عظيم وشر كبير، فكم دمرت من مجتمعات و هدمت من أسر، وفرقت بين أحبة، كم أهدرت من أموال، وضيعت من أوقات، كم أحزنت من قلوب، وأولعت من أفئدة، وأورثت من حسرة.

---

[1] - سورة النور، الآية 15

[2] - سورة النور، الآية 15

وإذا أردت أن تعلم عظيم شرها، فانظر في حادثة الإفك: كيف أن النبي ﷺ مكث شهرا كاملا وهو مهموم محزون، لا وحي ينزل يبين له حقيقة الأمر، ولا يعرف عن أهل بيته إلا الطهر و العفاف.

ولقد فتن كثير من المسلمين بنشر هذه الإشاعات وترديدها دون نظر في النتائج، ودون نظر في الشرور الناتجة عنها.

لقد عالج الإسلام قضية الإشاعة عن طريق ثلاث نقاط:

أ- النقطة الأولى: التثبت.

ب- النقطة الثانية: الناقل للإشاعة من الفاسقين.

ت- النقطة الثالثة: التفكر في عواقب الإشاعة.

وقبل البدء في تفصيل هذه النقاط لابد من التنبيه على أمر مهم جدا، الا وهو: أن الله سبحانه وتعالى جعل العلاج لقضية الإشاعة من خلال الناقلين لها من المؤمنين أنفسهم دون التركيز على مصدر الإشاعة وذلك لأن مصدر الإشاعة قد يكون من أهل النفاق أو من الكفار أو من الأعداء، و هؤلاء لا حيلة معهم، فإن من دأبهم نشر الإشاعة لإضعاف المسلمين. نعم قد ورد تحذير للمسلمين أن يكذبوا الكذبة ثم يبثوها (كما في حديث جابر بن سمرة عند البخاري). لكن هذه الإشاعات ما كان لها أن تنتشر لو قابلها المؤمنون بالمنهج الرباني لتلقي الأخبار وتلقي الإشاعات.

النقطة الأولى: التثبت:

يقول الله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا... ﴾[1] وفي قراءة أخرى (فتثبتوا). فأمر الله بالتبين والتثبت، لأنه لا يحل للمسلم أن يبث خبرا دون أن يكون متأكدا من صحته. والتثبت له طرق كثيرة؛ فمنها:

---

[1]- سورة الحجرات، الآية 6

أ- إرجاع الأمر لأهل الاختصاص: يقول الله تعالى: ﴿وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾[1]. قال الشيخ السعدي[2] في تفسيره 'تيسير كلام الرحمان': (هذا تأديب من الله لعباده عن فعلهم غير اللائق، وأنه ينبغي لهم إذا جاءهم أمر من الأمور المهمة والمصالح العامة؛ ما يتعلق بسرور المؤمنين أو الخوف الذي فيه مصيبة عليهم أن يتثبتوا ولا يستعجلوا بإشاعة ذلك الخبر، بل يردونه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم؛ أهل الرأي والعلم والعقل الذين يعرفون المصالح وضدها.

فإن رأوا في إذاعته مصلحة ونشاطا للمؤمنين وسرورا لهم وتحرزا من أعدائهم: فعلوا ذلك. فان رأواه ليس من المصلحة أو فيه مصلحة ولكن مضرته تزيد على مصلحته لم يذيعوه) أ. هـ فكم من إشاعة كان بالإمكان تلافي شرها بسؤال أهل الاختصاص. هذه الإشاعة الأخيرة التي انتشرت عن إدخال شمام به فيروس الإيدز؛ ترى الواحد منا يرسل عشرات بل مئات الرسائل لهذه الإشاعات ولا يكلف نفسه أن يتصل بطبيب فيسأله: هل يمكن أن ينتقل هذا الفيروس بهذه الطريقة؟ لو أرجعنا هذه الإشاعة لولاة الأمر عبر الجهات المختصة لوجدنا عندها العلم بحال تلك الإشاعة.

ب- التفكر في محتوى الإشاعة: إن كثيرا من المسلمين لا يفكر في مضمون الإشاعة الذي قد يحمل في طياته كذب تلك الإشاعة، بل تراه يستسلم لها وينقاد لها وكأنها من المسلمات، ولو أعطينا أنفسنا ولو للحظات في التفكر في تلك الإشاعات لما انتشرت إشاعة أبدا، لقد بين الله حال المؤمنين الذين تكلموا في

[1]- سورة النساء، الآية 83

[2]- الشيخ عبد الرحمن السعدي، تيسير كلام الرحمن في تفسير كلام المنان.

حادثة الإفك فقال سبحانه: ﴿ إذ تلقونه بألسنتكم و تقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم ﴾ [1].

(إذ تلقونه بألسنتكم) إنه من البديهي أن الإنسان يتلقى الأخبار بسمعه لا بلسانه، ولكن أولئك النفر من الصحابة لم يستعملوا التفكير، لم يمروا ذلك الخبر على عقولهم ليتدبروا فيه، بل قال الله عنهم إنهم يتلقون حادثة الإفك بألسنتهم ثم يتكلمون بها بأفواههم من شدة سرعتهم في نقل الخبر وعدم التفكر فيه.

ولو تفكر الصحابة قليلا لوجدوا أنه من أمحل المحال أن يكون في فراش أطهر الخلق شيء يعيبه، كيف يمكن أن تتهم زوجة أفضل البشرية الذي اصطفاه الله بتهمة الفاحشة؟ إن هذا لا يعقل أبدا.

النقطة الثانية: الناقل للإشاعة من الفاسقين.

في الآية السابقة يقول الله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا... ﴾ [2] فجعل الله مَن نقل الخبر دون تثبت من الفاسقين، فمجرد نقل الأخبار دون التأكد من صحتها موجب للفسق؛ وذلك لأن هذه الأخبار ليس كلها صحيحا، بل فيها الصحيح والكاذب، فكان من نقل كل خبر وأشاعه داخلا في نقل الكذب، لذا جعله الله من الفاسقين، وقد صرح النبي بذلك ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع)[3].

فالمؤمن لابد له من الحذر في أن يكون عند الله من الفاسقين (الكاذبين).

[1]- سورة النور، الآية 15

[2]- سورة الحجرات، الآية 6

[3]- اخرجه مسلم.

النقطة الثالثة: التفكر في عواقب الإشاعة.

وعودة مرة ثالثة للآية السابقة في سورة الحجرات يقول الله تعالى: ﴿ أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ﴾[1]، هلا تفكرت في نتائج الإشاعة، هلا تدبرت في عواقبها.

آفة عدم التثبت

يقول الدكتور المرحوم محمد سيد نوح في كتابه آفات على الطريق: وعدم التثبت أو التبين في الاصطلاح الإسلامي والدعوى هو السرعة أو عدم التأني والتريث في كل ما يمس المسلمين بل الناس جميعا من أحكام أو تصورات ومن تناقل وتداول لهذه الأحكام وتلك التصورات دون فهم دقيق للواقع وما يحيط به من ظروف وملابسات[2].

وإلى هذا أشار القرآن الكريم في تعليقه على حادثة الإفك حين قال: ﴿إذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم ﴾[3]

لأن من المعلوم بداهة أن التلقي إنما يكون بالأذن ثم يعرض على العقل والقلب وحينئذ يكون الكلام باللسان فإنما هي لفتة إلى السرعة وعدم التأني أو التروي في إصدار الحكم بل في تداوله والتحرك به كأن الإفك عندما وقع من ابن سلول صمت الآذان وسترت العقول وغلفت القلوب فلم يبق إلا أن لاكته الألسن وتحركت به الشفاه دون فهم للواقع ودون معرفة بالظروف والملابسات ولقد يحاكى ويتأسى لا سيما إذا كان ضعيف الشخصية غير واثق من نفسه ومن

1- سورة الحجرات، الآية 6.

2- محمد سيد نوح، آفات على الطريق، الجزء الثاني، الآفة 13.

3- سورة النور، الآية 15.

تصرفاته وسلوكه وهنا يأتي دور الارتماء بين أحضان الصحبة الطيبة الملتزمة بالمنهاج الإسلامي. إن هذا لو وقع لصحت الأعصاب ولتنبهت المشاعر والأحاسيس والجوارح.

1) الغفلة أو النسيان:

وقد تؤدى الغفلة أو النسيان بالإنسان إلى عدم التثبت أو التبين وحينئذ يجب أن يتعلم من ذلك درسا لا ينساه على مدار الزمان فلا يتكرر منه هذا الخطأ وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يقول: كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون)[1].

2) الاغترار ببريق الألفاظ:

وقد يقرع أذن المرء طائفة من الألفاظ المعسولة والعبارات الخلابة وإذا به يغتر بما لهذه الألفاظ وتلك العبارات من بريق وزخرف وحينئذ يكون منه عدم التثبت أو التبين وقد لفت النبي صلى الله عليه وسلم النظر إلى هذا السبب حين قال: إنكم تختصمون إلي، وإنما أنا بشر، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، وإنما أقضي لكم على نحو مما أسمع منكم، فمن قضيت له من أخيه شيئا؛ فلا يأخذه؛ فإنما أقطع له قطعة من النار يأتي بها يوم القيامة. (صحيح) _ وله طريق آخر فيها بيان سبب ورود الحديث: عن أم سلمة قالت: جاء رجلان من الأنصار يختصمان إلى رسول الله ﷺ في مواريث بينهما قد درست ليس بينهما بينة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (فذكره)؛ إلا أنه قال: يأتي بها أسطاما في عنقه يوم القيامة فبكى الرجلان، وقال كل واحد منهما: حقي لأخي! فقال

[1]- قال الشيخ الألباني: حديث حسن (صحيح الترغيب).

رسول الله ﷺ: أما إذ قلتما؛ فاذهبا فاقتسما؛ ثم توخيا الحق، ثم استهما، ثم ليحلل كل واحد منكما صاحبه. وفي رواية لأبي داود: إني إنما أقضي بينكم فيما لم ينزل علي فيه. (وإسناده صحيح). وللحديث شاهد مرفوع بلفظ: إنما أنا بشر، فما حدثتكم من الله؛ فهو حق، وما قلت فيه من قبل نفسي؛ فإنما أنا بشر أصيب وأخطئ. وعن ابن عباس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف في النخل بالمدينة، فجعل الناس يقولون: فيها وسق، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فيها كذا وكذا فقالوا: صدق الله ورسوله. فقال رسول الله ﷺ: (فذكره) (وإسناده حسن).

3) الجهل بأساليب أو طرق التثبت أو التبين:

وقد يحمل بأساليب أو طرق التثبت أو التبين إلى السرعة في الحكم وتداوله هنا وهناك ذلك أن للتثبت أو للتبين أساليب أو طرقا كثيرة توصل إليه من بينها:

1- الرد إلى الله والرسول وذوى الرأي والحجا كما قال سبحانه ﴿ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾ [1].

2- السؤال أو المناقشة لصاحب الشأن، وخير ما يوضح ذلك موقفه صلى الله عليه وسلم من حاطب بن أبى بلتعة لما كتب إلى أهل مكة يخبرهم بغزو النبي صلى اله عليه وسلم لهم وأطلع الله عز وجل نبيه على الكتاب وجيء به إليه صلى الله عليه وسلم إذ دعاه النبي صلى الله عليه وسلم وساله قبل أن يقضى في أمره قائلا: يا حاطب ما هذا؟ فقال: يا رسول الله لا تعجل على إني كنت امرءا ملصقا من المهاجرين من لهم قرابات يحمون بها أهلهم وأموالهم فأحببت إذا فاتني ذلك من النسب فيهم أن اتخذ عندهم يدا يحمون بها قرابتي ولم أفعله ارتدادا عن ديني ولا رضا بالكفر بعد الإسلام فعذره النبي ﷺ وقال: (أما إنه قد صدقكم) ولما استأذن

---

[1]- سورة النساء، الآية 83

عمر في ضرب عنقه قائلا: "وما يدريك لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم) [1].

3- الإصغاء الجيد بل والمراجعة إذا لزم الأمر أو أشكل، فهذا عليّ- رضى الله عنه - يعطيه الرسول صلى الله عليه وسلم الراية يوم خيبر ثم يقول له: "اذهب فقاتل حتى يفتح الله عليك ولا تلتفت" ويشعر عليّ رضى الله عنه - بعد مضيه لأداء مهمته أن التكليف الذي كلف به غير واضح في ذهنه فيعود بظهره امتثالاً للأمر ويسأل النبي صلى الله عليه وسلم قائلاً: علام أقاتل الناس؟ فيرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منا دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله [2].

- التجربة والملاحظة من خلال المعايشة والمصاحبة، فهذا عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - يثنى رجل على آخر في مجلسه فيقول عمر للرجل الذي أثنى: هل صحبته في سفر قط؟ يقول: لا، فيقول له: هل كانت بينك وبينه معاملة في حق؟ يقول:لا، فيقول له: أسكت فلا أرى لك علماً به، أظنك - والله - رأيته في المسجد يخفض رأسه ويرفعه.

- الجمع بين كل الأطراف مع المواجهة، لاسيما في الأمور التي لا يجوز فيها التغاضي أو السكوت، فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم عليًّاً لما بعثه قاضياً إلى أهل اليمن، أسلوب التثبت في القضاء قائلاً له: إن الله سيهدى قلبك، ويثبت لسانك، فإذا جلس بين يديك الخصمان فلا تقضين حتى تسمع من الآخر كما سمعت من الأول، فإنه أحرى أن يتبين لك القضاء [3].

---

[1]- أخرجه البخاري ومسلم.

[2]- البداية والنهاية لابن كثير الجزء الرابع.

[3]- رواه أبو داوود.

- السماع من صاحب الشأن أكثر من مرة، وعلى فترات متباعدة مع المقابلة والموازنة فها هي أم المؤمنين عائشة - رضى الله تعالى عنها - يبلغها عن عبد الله ابن عمرو، أنه قادم من مصر للحج، فتقول لابن أختها عروة بن الزبير، يا ابن أختي بلغني أن عبد الله بن عمرو مار بنا إلى الحج فالقه فسائله، فإنه قد حمل عن النبي صلى الله عليه وسلم علماً كثيراً قال، فلقيته فساءلته عن أشياء يذكرها عن رسول الله ﷺ قال عروة: فكان فيما ذكر أن النبي ﷺ قال: "إن الله لا ينزع العلم من الناس انتزاعاً، ولكن يقبض العلماء فيرتفع العلم معهم ويبقى في الناس رؤساء جهال يفتونهم بغير علم فيَضلون ويُضلون" قال عروة فلما حدَّثت عائشة بذلك أعظمت ذلك وأنكرته قالت: أحدثك أنه سمع النبي ﷺ يقول هذا؟ قال عروة: حتى إذا كان قابل قالت له: إن ابن عمرو قد قدم فالقه ثم فاتحه حتى تسأله عن الحديث الذي ذكره لك في العلم، قال: فلقيته فساءلته، فذكر لي نحو ما حدثني به في مرته الأولى، قال عروة: فلما أخبرتها بذلك قالت: ما أحسبه إلا قد صدق، أراه لم يزد فيه شيئاً ولم ينقص".

هذه الطرق أو الأساليب وغيرها كثيرة قد يجهلها كثير من الناس وحينئذٍ يتناولون الأمر بغير تثبيت ولا تبين.

4) الحماس أو العاطفة الإسلامية الجياشة المتأججة:

وقد يؤدى الحماس أو العاطفة الإسلامية الجياشة المتأججة إلى عدم التثبت أو التبين، ذلك أن هذا الحماس أو هذه العاطفة ما لم تكن موزونة بميزان الشرع، ومحكومة بلجام العقل، فأنها تسلب صاحبها الإدراك، وإذا به يخطئ كثيراً ويضيع في بيداء هذه الحياة.

ويمكن أن نستشف هذا السبب من حديث أسامة بن زيد التالي إذ يقول: بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحرقة فصبحنا القوم فهزمناهم ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم، فلما غشيناه قال: لا إله إلا الله فكف الأنصاري فطعنته برمحي حتى قتلته فلما قدمنا بلغ النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "يا أسامة أقتلته بعد ما قال: لا إله إلا الله؟ قلت: كان متعوذاً، فما زال يكررها حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم[1].

أجل لقد كان الحامل لأسامة على قتل الرجل مع نطقه بلا إله إلا الله تلك التي تعصم الدم إلا بحقها إنما هو الحماس أو العاطفة الإسلامية الجياشة التي انطوى عليها قلب أسامة بن زيد - رضي الله عنه - بحيث حالت بينه وبين الاقتناع بما صدر عن الرجل من الإسلام، والنطق بالشهادة واتهمه بأنه يظهر خلاف ما يبطن ناسياً أن الله وحده هو المطلع على ما تكنه القلوب، وتخفيه الصدور ﴿ قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله ﴾[2]، ﴿ وإن ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون ﴾[3] ﴿والله يعلم ما في قلوبكم ﴾[4]، ﴿ يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ﴾[5].

5) التعلق بعرض زائل من الدنيا:

وقد يكون التعلق بعرض زائل من أعراض هذه الحياة الدنيا هو الحامل على عدم التثبت أو التبين، وذلك أن حب الشيء يعمى ويصم، ويحول بين الإنسان وبين استطلاع الموقف وتبين الحقيقة ولعل هذا السبب هو المشار إليه في قوله

[1]- متفق عليه

[2]- سورة آل عمران، الآية 29

[3]- سورة النمل، الآية 74

[4]- سورة الأحزاب، الآية 51

[5]- سورة غافر، الآية 19

سبحانه: ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة ﴾ [1].

6) الغفلة عن العواقب والآثار المترتبة على عدم الالتزام بهذا الخلق الإسلامي إلى السرعة أو العجلة في الأمر، وعدم التريث أو التأني فإن من غفل عن عاقبة أمر ما وقع فيه لا محالة إلا من عصم الله - عز وجل.

مظاهر عدم التثبت والتبين

ولعدم التثبت أو التبين مظاهر تدل عليه وأمارات يعرف بها نذكر منها:

(1) معاداة كثير من الأفراد والهيئات العاملة للإسلام استجابة لحملات التشويش والدعاية المغرضة دون مخالصة هؤلاء ومعرفة أحوالهم وأخلاقهم عن قرب ومشاهدة.

(2) التركيز على المظهر والشكل مع إهمال المخبر والجوهر فإن كثيرا من الهيئات العاملة للإسلام تهتم كثيرا بالمظهر والشكل من اللحية والسواك وقصر الجلباب وإرخاء العذبة وحمل العصا والعمامة مع الإهمال التام للمخبر والجوهر الأمر الذي يجعلهم لا يميزون بين الصالح والطالح وبين الصادق والكاذب.

ولا يفهم ذلك أنه استهانة أو تحقير لتلك الأشياء، فقد وردت بذلك أحاديث تتفاوت صحة وضعفا وليس هنا مجال تحقيقها الآن ولكننا نريد من المسلم أن يكون لديه ترتيب الأولويات وتقدير لمخبر الإنسان وجوهره وإن قصر في بعض الشكليات فإن ذلك لا يضره.

(3) عدم التماس المعاذير وعدم السماع للحجج والآراء برغم أنه لا عقبات ولا صعوبات في حياة الناس.

---

[1]- سورة النساء، الآية 94

(4) المبادرة بالتفوه، والرأي، لمجرد السماع والتلقي أو لمجرد الرؤية والمشاهدة.

(5) المبادرة بالتنفيذ لمجرد صدور التكليف دون إحاطة تامة بكل ظروفه وملابساته ودون معرفة دقيقة بمن له حق التكليف والإلزام.

آثار عدم التثبت أو التبين

ولعدم التثبت أو التبين آثار سيئة وعواقب وخيمة سواء على العاملين أو على العمل الإسلامي ودونك طرفا من هذه الآثار.

آثار عدم التثبت على العاملين:

(1) اتهام الأبرياء من الناس زورا وبهتانا:

فقد اتهمت أم المؤمنين عائشة زورا وبهتانا بما لم يقع منها في الجاهلية فكيف بعد إذ أعزها الله بالإسلام وصارت زوجة لإمام المسلمين وأفضل النبيين ورسول الله للعالمين الأمر الذي أقلقها وأقلق أبويها ورسول الله ﷺ زوجها والمسلمين جميعا شهراً كاملاً حتى نزلت البراءة بشأنها من فوق سبع سموات.

وكان سبب هذا الاتهام هو عدم التثبت أو التبين حتى قال الله لهم: ﴿ لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا إفك مبين لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون ﴾[1].

وحسبُ العاملِ هذا الأثرُ، إذ هو مجلبة للشر والإثم - والعياذ بالله - كما قال النبي ﷺ: (خيار عباد الله الذين إذا رُؤوا ذكر الله، وشرار عباد الله المشاءون بالنميمة المفرقون بين الأحبة الباغون للبرآء العنت) [2].

---

[1]- سورة النور: الآية 12-13

[2]- حديث حسن مسند الإمام أحمد.

(2) سفك الدماء وسلب الأموال:

فقد قَتل أسامة بن زيد رضى الله تعالى عنه أو غيره واحداً من الناس وسلب ماله بغير تثبت ولا تبين وفيه وفي أمثاله نزل قوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة... ﴾[1].

فإن بعض الصحابة الذين خاضوا في الإفك وطاروا من غير تثبت ولا تبين من أمثال حسان بن ثابت ومسطح بن أثاثه وغيرهما وكذلك الذين قتلوا الرجل وأخذوا ماله بعد أن أسلم وشهد أن لا إله إلا الله من مثل أسامة بن زيد – رضى الله تعالى عنه – كل أولئك أصابتهم الحسرة وعمهم الندم لما نزل الوحي من السماء يكشف الموقف ويضع النقاط على الحروف وتمنوا أن لم يكونوا! أسلموا قبل ذلك اليوم بل ظلت الحسرة والندامة شبحا مخيفا يلاحقهم حتى لقوا ربهم.

ولعل هذا الأثر هو ما يشير إليه قوله تعالى في قصة الوليد بن عقبة بن أبي معيط مع بني المصطلق الواردة في سورة الحجرات الآية 6: {... فتصبحوا على ما فعلتم نادمين. . . }[2].

(3) فقد ثقة الناس مع النفور والكراهية:

فمن عرف عنه العجلة في الرأي والحكم أو عدم التثبت أو التبين ينظر إليه الناس على أنه أرعن أحمق ومثل هذا يسحب الناس ثقتهم منه بل وينفرون منه ويكرهونه بشدة وإذا ذهبت الثقة وكان النفور والكراهية لم يعد في يد المسلم ما يكسب به الأنصار أو المؤيدين.

---

[1]- سورة النساء، الآية 94.

[2]- سورة الحجرات، الآية 6.

(5) التعرض للغضب الإلهي:

فمن تجرد من التثبت أو التبين كثرت أخطاؤه وتضاعفت عثراته من ثم يستوجب غضب الله وسخطه ومن حل عليه غضب الله وسخطه فقد ضاع دنيا وآخرة وخسر خسرانا مبينا وصدق الله: ﴿ ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى ﴾[1].

آثار عدم التثبت على العمل الإسلامي:

(1) خلل أو اضطراب الصف:

فإن عدم التثبت أو التبين من شأنه أن يؤدى إلى خلل أو اضطراب في الصف على نحو ما صوره صاحب الظلال - رحمه الله - إذ يقول: "كذلك إشاعة أمر الخوف في معسكر مطمئن لقوته، ثابت الأقدام بسبب هذه الطمأنينة قد تحدث إشاعة الخوف فيه خلخلة وارتباكاً، وحركات لا ضرورة لها لاتقاء مظان الخوف وقد تكون كذلك القاضية".

وعلى نحو ما وقع بين الأنصار، أوسهم وخزرجهم حين استمعوا إلى هذا الدخيل الذي بثه بينهم أحد اليهود في ساعات الصفاء والحب في الله، ليذكرهم بيوم بعاث، وثاراتهم القديمة، لقد تنادوا قائلين:

السلاح... السلاح... موعدكم الظاهرة (أي الحرة) وخرجوا إليها وانضمت الأوس بعضها إلى بعض، و الخزرج بعضها إلى بعض على دعواهم التي كانوا عليها في الجاهلية، ولولا رحمة الله ولطفه بهم، ثم خروج الرسول صلى الله عليه وسلم إليهم وتذكيرهم بنعمة الله عليهم وهدايته لهم بعد الكفر والضلالة قائلاً: "يا معشر المسلمين: الله الله أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد إذ هداكم الله إلى الإسلام، وأكرمكم به وقطع به عنكم أمر الجاهلية واستنقذكم به من الكفر،

[1]- سورة طه، الآية 81.

والف بينكم ترجعون إلى ما كنتم عليه كفاراً، لـولا ذلـك لعـادوا- كمـا كـانوا في الجاهلية - شيعاً وأحزاباً.

وعلى نحو ما وقع للحركة الإسلامية في مصر في الخمسينات حيث استمع نفر من أبنائها لوشايات الواشين وافتراءات المغرضين، وأراجيف المبطلين دون تثبت أو تبين، الأمر الذي أدى إلى خلل في الصفوف لبعض الوقت، وكاد يعصف بهذه الحركة لولا لطف الله ورحمته، وعنايته وتثبيته لبعض الصادقين المخلصين من أبنائها، وهكذا يحدث اليوم لأغلب الحركات الإسلامية. نسأل الله اللطف.

2- الفتور أو التراخي في العمل:

فإن عدم الالتزام بالتثبت أو التبين من شأنه أن يؤدى إلى الفتـور أو التراخـي في العمل مباشرة، أو بعد سلسلة من المكدرات والمنغصات كما يـصوره صـاحب الظلال إذ يقول: "...فإن إشاعة أمر الأمن مثلاً في معسكر متأهب مستيقظ متوقـع لحركة العدو، إشاعة أمر الأمن في هذا المعسكر تحدث نوعاً من التراخي مهما تكن الأوامر باليقظة النابعة من التحفز للخطر، غير اليقظة النابعة مـن مجـرد الأوامـر، وفي ذلك التراخي تكون القاضية[1].(ظلال القرآن تفسير سورة النور).

3- إفساح المجال للأدعياء والدخلاء:

فإن عدم الالتزام بهذا الخلق الإسلامي جعل أكثـر الجمعيـات والجماعـات العاملة للإسلام مخترقاً ومكـشوفاً مـن قبـل الأدعيـاء والـدخلاء وهـذا فيـه مـن الخطورة ما فيه، حسبنا أن هذه الجمعيات والجماعـات يكـاد لهـا بواسـطة هـؤلاء

[1]- سيد قطب، في ظلال القرآن، تفسير سورة النور (11-26).

الأدعياء والدخلاء، والمنشئون أو المؤسسون الحقيقيون لها، نائمون غافلون لا يدرون من أمرها شيئاً.

4- خسارة بعض الأنصار والمؤيدين:

وقد يخسر العمل الإسلامي بسبب عدم التثبت أو التبين بعض الأنصار والمؤيدين، وربما انقلبوا رأس حربة على العمل الإسلامي والعاملين لدين الله، بعد أن كانوا مرجوا منهم أنهم مساندون أو مؤيدون.

5- الانطلاق من الخيال لا من الواقع:

فإن من كان من شأنهم عدم التثبت أو التبين سينقلون الأمور على غير وجهها ويحكون الواقع بصورة غير صورته الحقيقية التي هو عليها، وعليه فإذا كانت خطة أو منهاجا أو رأيا فإنما يكون مصدره أو منبعه الخيال لا الواقع، وتلك أولى عوامل الفشل والخسران.

6- الحرمان من العون والتأييد الإلهي:

فإن عدم الالتزام بهذا الخلق... أعنى التثبت أو التبين... سيؤدى إلى دخن في القلوب وغل في الصدور، فضلاً عن باقي الآثار والسلبيات التي ذكرنا آنفاً، وهذا بدوره يؤدى إلى الحرمان من العون و التأييد الإلهي، إذ أن عونه - سبحانه - وتوفيقه وهدايته لنا ذلك كله مقرون باستقامتنا وثباتنا في الطريق ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ﴾[1]، ﴿ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون ﴾[2].

1- سورة محمد، الآية 7

2- سورة الصافات، الآيات: 171-172-173

علاج عدم التثبت أو التبين

1- تقوية ملكة التقوى والمراقبة لله - سبحانه وتعالى -:

فإن هذه إن تأكدت في النفس، فسوف تحمل صاحبها حملاً على التأني والتروي والإنصاف، ونقل الحقيقة كما هي دون زيادة أو نقص، بل ستكون سبباً في نور القلب، ونفاذ البصيرة كما قال سبحانه ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً ﴾[1] ولعلنا نلمح هذه الوسيلة العلاجية من قوله صلى الله عليه وسلم: "التثبت من الله والعجلة من الشيطان".

2- التذكير بين يدي الله - سبحانه وتعالى - للمساءلة والجزاء:

﴿وقفوهم إنهم مسئولون﴾ [2]، ﴿فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون﴾ [3]، ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً ﴾ [4]، ﴿إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى﴾[5].

فإن هذا إن تمكن من النفس، وخالط القلب، فإنه سيقود حتماً إلى التأني أو التروي.

3- معايشة الكتاب والسنة، من خلال هذه النصوص المتصلة بقضية التثبت أو التبين، كما في آيات "النساء": ﴿وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به. . . ﴾، وآيات الإفك في سورة النور، وآيات سورة الحجرات، ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن

---

[1]- سورة الأنفال، الآية 29.

[2]- سورة الصافات، الآية 24.

[3]- سورة الحجر، الآية 92-93.

[4]- سورة الإسراء، الآية 36.

[5]- سورة طه، الآية 15.

جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا...﴾، وآيات سورة "ص" داود مع الخصمين: ﴿ وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب ﴾ وآيات سورة "النمل" سليمان مع الهدهد إذ قال له ﴿ سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين ﴾.

فإن هذه النصوص جميعاً مدعاة إلى تربية ملكة التثبت أو التبين في النفس.

4- دوام النظر في سير وأخبار السلف فأنها طافحة بالنماذج الحية التي تجسد هذا التثبت، وتجعله ماثلاً أمامنا كالعيان وحسبنا من هذه السير وتلك الأخبار[1]:

قصة عمر بن الخطاب مع سعيد بن عامر الجمحى واليه على حمص إذ قدر الله لعمر أن يزور هذه البلدة، ويسأل أهلها كيف وجدتم عاملكم؟ فيشكونه له، وكان يقال لأهل حمص: الكوفية الصغرى لشكايتهم عمالهم قائلين:

نشكو أربعاً: لا يخرج إلينا حتى يتعالى النهار، قال: أعظم بهذا، وماذا؟ قالوا: لا يجيب أحدا بليل، قال وعظيمة وماذا؟ قالوا وله يوم في الشهر لا يخرج فيه إلينا، قال عظيمة، وماذا؟ قالوا يغنط الغنطة بين الأيام (أي يغمى عليه ويغيب عن حسه) فلم يفصل عمر في الأمر، إلا بعد أن جمع بينهم وبينه ودعا ربه قائلا: (اللهم لا تفيل رأيي فيه) وكان عمر حسن الظن به وبدأت المحاكمة فقال عمر لهم أمامه: ما تشكون منه؟ قالوا: لا يخرج إلينا حتى يتعالى النهار قال: ما تقول ؟ قال: والله إن كنت لأكره ذكره: ليس لأهلي خادم فأعجن عجيني ثم أجلس حتى يختمر ثم أخبز خبزي ثم أتوضأ ثم أخرج إليهم فقال: ما تشكون منه؟ قالوا: لا يجيب أحدا بليل قال: ما تقول؟ قال: إن كنت لأكره ذكره: إني جعلت النهار لهم والليل لله عز وجل قال: وما تشكون منه؟ قالوا له يوم في الشهر لا يخرج إلينا. قال وما تقول؟ قال: ليس لي خادم يغسل ثيابي ولا لي ثياب أبدلها

[1] - محمد سيد نوح، آفات على الطريق، الجزء الثاني، الآفة 13.

فاجلس حتى تجف ثم أدلكها ثم أخرج إليهم من آخر النهار قال: ما تشكون منه ؟ قالوا: يغنط الغنطة بين الأيام قال: ما تقول؟ قال: شهدت مصرع خبيب الأنصاري بمكة وقد بضعت قريش من لحمه ثم حملوه على جذعة فقالوا: أتحب أن محمدا مكانك؟ فقال: والله ما أحب أنى في أهلي وولدي وأن محمدا صلى الله عليه وسلم شيك بشوكة، فما ذكرت ذلك اليوم وتركي نصرته في تلك الحال وأنا مشرك لا أومن بالله العظيم إلا ظننت أن الله عز وجل لا يغفر لي بذلك الذنب أبداً فتصيبني تلك الغنطة. فقال عمر بعد أن أظهر براءته أمامهم الحمد لله الذي لم يفيل فراستي وبعث إليه بألف دينار وقال: استعن بها على أمرك ففرقها).

وقصة الوزير أبى القاسم بن مسلمة أحد وزراء بنى العباس مع اليهود الخيابرة في القرن الخامس الهجري إذ رفع إليه هؤلاء اليهود كتابا زاعمين أنه كتاب نبوي فيه إسقاط الجزية عنهم فلم يبادر بالفصل في المسألة دون تثبت أو تبين وإنما رد الأمر إلى أهله، لقد دفع الكتاب إلى الحافظ الخطيب البغدادي ت 463هـ شيخ علماء بغداد ومؤرخها ومحدثها في عصره فنظر فيه ثم قال: هذا كذب. فسأله الوزير: وما الدليل على كذبه؟ فقال لأن فيه شهادة معاوية بن أبى سفيان ولم يكن أسلم يوم خيبر وقد كانت خيبر في سنة سبع من الهجرة وإنما أسلم معاوية يوم الفتح وفيه شهادة سعد بن معاذ وقد مات قبل خبر عام الخندق سنة خمس فأعجب الناس ذلك وتوقف الوزير عن العمل بالكتاب.

أرأيت لو أن هذا الوزير استعجل ونفذ ما في الكتاب من غير أن يرد الأمر إلى أهله فماذا تكون النتيجة؟ إن النتيجة هي تعطيل نص صريح من كتاب الله عز وجل بغير دليل ولا برهان إذ يقول الحق سبحانه ﴿ قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا

باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ﴾[1].

5- التربية على ذلك من خلال الأحداث والوقائع على نحو ما جاء في قصة أسامة ابن زيد مع الجهنى في سورة النساء وعلى نحو ما جاء في حادثة الإفك في سورة النور وعلى نحو ما جاء في قصة داود مع الخصمين في سورة النمل وعلى نحو ما جاء في قصة الوليد بن عقبة مع بنى المصطلق في سورة الحجرات فإن هذا اللون من التربية يثبت في النفس ولا ينسى نظرا لارتباطه بالحدث أو بالقصة.

6- التذكير بقواعد ومعالم وطرق التثبت أو التبين فإن الإنسان مجبول على النسيان وعلاج هذا النسيان دوام التذكير:

﴿وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين ﴾[2]. ﴿فذكر إن نفعت الذكرى ﴾[3].

7- تقدير العواقب المترتبة على ترك التثبت أو التبين في الدنيا والآخرة فإن هذا التقدير من شأنه أن يبعث الإنسان من داخله ويحمله على التروي أو التأني أو التريث.

8- معايشة أو مخالطة من اشتهروا بخلق التثبت أو التبين فإن هذا يفيد الإنسان كثيرا ويدعوه إلى محاكاتهم والنسج على منوالهم لتقل العثرات وتسلم الخطوات.

9- الحكمة في التعامل مع الناس فلا تخدعنا الظواهر والأشكال والصور ولا نبالغ في البحث والتفتيش عن البواطن وخفايا الصدور وإنما ندع الواقع ليحدد كيفية وأسلوب التعامل.

---

[1]- سورة التوبة، الآية 29.

[2]- سورة الذاريات، الآية 55.

[3]- سورة الأعلى، الآية 9.

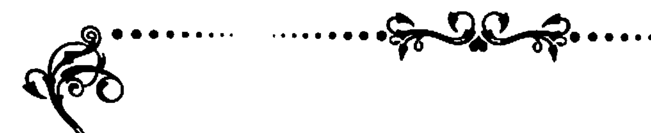
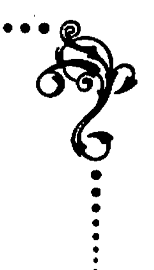
10- محاولة الإفادة من مناهج أهل الأرض بشأن هذا الخلق... أعني التثبت أو التبين شريطة ألا يتعارض ذلك مع الإسلام فإن لدى هؤلاء رصيداً لو أمكن استغلاله وتوجيهه التوجيه السليم لعاد على الإسلام والمسلمين بالخير الكثير .

11- أن يتصور المسلم نفسه في موطن من يؤخذ بغير تثبت أو تبين فإن ذلك يحمله على تعديل خطواته في الطريق إذ مالا يرضاه لنفسه لا يرضاه لغيره.

12- التعويد على إحسان الظن بالمسلمين إلا أن يقع منهم ما يوجب غير هذا:

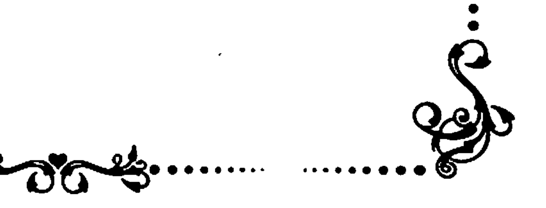
﴿لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا ﴾[1].

[1]- سورة النور، الآية 13.

الفصل الخامس

من يستهدف المنهج والقيادات والرموز
في حركة مجتمع السلم
ولماذا؟

من يستهدف المنهج والقيادات والرموز في حركة مجتمع السلم ولماذا؟*

هو سؤال يتكرر مع كل حملة من حملات القصف الإعلامي الذي يستهدف الحركة في منهجها وقيادتها ورموزها وسياساتها واستراتيجياتها، سواء استخدم القاصف الإعلام المكتوب أو الإعلام الالكتروني، ويبرز السؤال دائما عند القاعدة النضالية، لماذا يستهدفون حركة مجتمع السلم؟وهل في ضرب سمعتها التنظيمية أو السياسية أو الدعوية من أحد يقتات منه؟ ثم لماذا تركز هذه الدعاية على القيادات والرموز؟ولماذا في هذا التوقيت بالذات؟وفي المقابل كيف تستطيع الحركة مواجهة هذا القصف الإعلامي عليها؟ وماهو دور القيادة والقاعدة على السواء في خطة المواجهة؟

من نافلة القول التذكير بأن حركة مجتمع السلم تعيش بعد وفاة مؤسسها الشيخ الرئيس محفوظ نحناح، وبعد مؤتمريها الثالث والرابع حملات تستهدف وحدتها وتشويه سمعتها عند الرأي العام الداخلي والخارجي، وتحاول هذه الأوساط التي لا تعرف الصيد إلا في المياه العكرة وفضول المجالس، بالضبط كالذباب لا يحط إلا على الجراح أو الأماكن النتنة، قلت تحاول أن تواصل الحملة ولكن هذه المرة طورت من أدواتها الإعلامية، وأخذت تبحث في العورات علها تجد ما تقتات به لمدة لا تطول، لأن حبل الكذب دائما قصير.

* - هذا المقال نشر بموقع إسلام أولاين على الرابط: نافذة إسلاميون
www.islamonline.nt/servlet/satellite?c=article.a

لماذا تستهدف حركة مجتمع السلم:

حركة مجتمع السلم تستهدف لعدة أسباب نذكر منها:

- لأنها تمثل ما تبقى من الحركة الإسلامية في الجزائر كتنظيم قوي ومنتشر في كل أرجاء القطر الجزائري.
- لأنها تحمل مشروعا سياسيا استعصى على الخصوم توريطه في الدماء أو في الفساد، ومازال يقدم البديل والمبادرات وهو قوة اقتراح في كل المجالات.
- لأنها حركة تستهدف المستقبل من خلال برامجها ومشاريعها الاستراتيجية التي تقوم على ترقية الفرد، على اعتباره دينامو أي عملية تغيير.
- لأنها استطاعت أن توفق بتوليفة متوازنة بين التعامل مع السلطة من خلال المشاركة في بعض دواليبها، والمجتمع من خلال تحسس قضاياه ومساعدته على حلها، من خلال برامج متنوعة.
- لأنها استطاعت خلال عشريتين تكوين رأي عام ثابت لا يتغير بل يتماسك كلما أقبلت حملات القصف، وإرادات الانشطار عن الحركة، والتنظيم الذي يمتلك رأيا عاما ثابتا يتطور من مرحلة إلى أخرى هو تنظيم لا تقهره لا السلط الحاكمة التي تستهدف احتواءه، ولا الحملات الإعلامية التي تستهدف تشويهه.
- لأنها درجت على هذا النوع من الحملات وصارت اليوم مطعمة ضدها.
- لأنها استطاعت أن تحوز ثقة السلطة والمعارضة في آن واحد، وتستطيع القيام بأدوار ريادية هنا وهناك، دونما تضييع لمشروعها وسياساتها.

- لأنها الحركة الوحيدة التي تستطيع معالجة خلافاتها الداخلية داخل مؤسساتها رغم ما حدث في المؤتمر الرابع بحكمة واستشراف رغم وجود آراء متباينة بين قيادتها.
- إن ما حدث في الحركة من انشقاق تنظيمي، جعلها تكتسب المناعة ضد أي انشطار آخر، في الوقت الذي فوت المنشقون عن الحركة فرصة ذهبية لتأكيد مفردة إدارة الخلاف بطرق ديمقراطية داخل المدرسة الواحدة، كان يمكن أن تؤسس الحركة لمسار جديد تعرفه جيدا بعض الأحزاب الأوروبية من خلال وجود التيارات داخل المدرسة الواحدة، لكن مع وجود لوائح دقيقة تضبط سياسات التولية والتنحية والحملات الانتخابية، لكنهم لم يصلوا إلى ذلك بسبب قصر النظر والاستعجال في عملية التغيير، وإرادة حب البقاء في القيادة حتى الخلود ورغبة المناضلين الكبيرة في التمديد لمن كان قائدا وفق اللوائح المسنونة.
- لأنها حركة فتحت أبوابها لكل أبنائها من أجل العودة إلى حضنها بكرامة ولياقة.

استهداف المنهج استهداف للمشروع

إن حركة بهذا الشكل وبهذه الصفة هي حركة معشوقة ومحسودة في نفس الوقت، معشوقة من أبنائها ومجتمعها الذي نمت فيه حاسة الشم عن بعد لكل قصف إعلامي يستهدف القيادة أو المنهج أو الرموز، ويعرف جيدا، الإجابة على سؤال لماذا تستهدف الحركة اليوم ممن لا يملك لا المصداقية ولا السمعة التي تجعل منه عرابا للتأثير في المجتمع.

ومحسودة من غيرها ممن لم يستطيع التكيف مع الواقع والوصول الى ما وصلت إليه الحركة من حالات نجاح، والمحبس عقله في لحظات تاريخية حرمته رؤية الضوء والمستقبل وقراءة الواقع قراءة صحيحة.

إن استهداف المنهج، هو في الحقيقة استهداف لمشروع متجذر في ذهن القيادة والقاعدة والمجتمع، يخطئ من يظن أنه عندما يتحدث بمفردة الانحراف عن المنهج[1]، أنه يصيب الحركة في المقتل، سواء من الخارجين من الحركة ابتغاء حلية سياسية أو جمعوية يلبسونها، أو من الذين يناقشون بعض فقرات منهج الحركة بلغة الحالمين بالمدينة الفاضلة لأفلاطون، ممن أصبحت تغريهم العلمانية وهي تعرف السقوط الحر، كلا إن هذا الادعاء يعطى فرصة سانحة لتجديد مفردات وأدبيات المنهج وتأكيد القناعة به، ونفض الغبار عما أغفل في المنهج ذاته، وهو فعلا ما حدث داخل حركة مجتمع السلم عندما ضربت في المنهج والمرجعية، وإن غدا لناظره لقريب.

أما ضرب القيادة في سمعتها أو في قدراتها أو في أسرتها أو في علاقاتها، فهو مسار قديم يستخدمه الخصوم لإرباك المناضلين والقيادات الوسطى، وتعميق حيرة القيادة، واستهلاك أوقاتها في قيل وقال والرد على الشبهات " تي يركبها أصحاب الشهوات، والقيادة الحكيمة الراشدة هي القيادة التي يتوفر فيها شرطا الصبر واليقين اللذان ذكرهما الله في القرآن الكريم (وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون).

وأخطر ما يمكن أن تنجح فيه الدعاية والإشاعة والقصف هو ضرب القيادة بالقيادة، وتدشين مسلسل الردود وكشف الأستار والتراشق بالتهم، وهو درس يجب أن تستوعبه القيادة والقاعدة لأنها عايشته في المرحلة السابقة ويجب أن تأخذ

[1]- انظر الملحق رقم 02.

منه العبر والعظات، وتوفر للقاعدة النضالية لحظات استقرار من أجل الاستمرار في تحقيق البرامج والمشاريع.

ومن جهة أخرى، يجب أن لا يغيب عن الذهن أن الاستحقاقات القادمة، السياسي منها والاجتماعي، يدخل في صلب أجندة الخصوم، ولعل خدش سمعة الرموز القيادية، سواء كانت تمثل نائبا في البرلمان أو رئيسا لبلدية أو وزيرا في الحكومة، يقف في أعلى سلم أولويات الأطراف التي تريد تحقيق هدفين على الأقل، الأول تشويه سمعة هؤلاء وتدمير صورة النجاح التي تحققت في ذهن المجتمع، وبالتالي تسهل بعد ذلك صياغة خطاب الحملات القادمة، والثاني توفير أوراق ضغط على الحركة من أجل تحديد سقف تعاطيها السياسي في المستقبل، سيما إذا أخذنا بعين الاعتبار الفوبيا التي قد تصيب البعض عندما تعلن الحركة أنها ستصل إلى السلطة في سنة 2012 أو تؤسس لمنظمة شبابية تسميها شمس، وتنشئ جيلا للترجيح، وهي مشاريع هامة واستراتيجية، ولا تشكل خطرا على أحد، ولكن مهما كانت هذه المشاريع عادية وضرورية لأي حزب سياسي يحترم طبيعته السياسية الإصلاحية، إلا أنها بالنسبة للآخر سيما الذين لا يعملون إلا لضمان نصاب بقائهم في السلطة، يمثل قلقا مستقبليا لتحقيق طموحاتهم، وستظل أي حركة جادة وفعالة تؤرق هؤلاء، فتثيرهم وتجعلهم في أتم الاستعداد لمقاومة أي رغبة في التغيير أو الإصلاح.

دور القدوة والقيادة

ونقطة إسقاط الشعاع هنا كما يقول أهل الهندسة، هو عدم غفلة القيادة في المستويات المذكورة على نفسها من خلال الاستخفاف ببعض القضايا التي لا يلقى لها بال وهي صغيرة عندك كبيرة عندهم. فالقدوة يجب أن يحافظ على هوامش العفو عنده لنفسه، ويجب أن لا يغفل عن الموقع الذي يحتله ويمثله، فأنت أيها

القيادي مهما كانت مرتبتك في القيادة تحت مجهر المجتمع والخصوم، وضريبة القيادة والموقع السياسي والاجتماعي يقتضيان سمتا وسلوكا معروفين، أنت أدرى الناس بها، وإذا غفل الناس عنك فإن الله أقرب إليك من حبل الوريد.

هي إذن الضريبة التي يجب أن يدفعها القيادي في حركة مجتمع السلم، وهي أيضا طبيعة الحياة السياسية في البلاد السائرة في طريق النمو، مما يستوجب على الحركات الجادة أن تعد عدتها، وتستنفر طاقاتها، وتدقق رؤيتها، وتعيد صياغة منظومة العلاقات بين قيادتها ومناضليها والرأي العام الداخلي والخارجي، بما يخدم سياساتها، ويسوق صورة النجاح مهما كان صانعها لأنها في النهاية جزء من الصورة العامة للحركة، التي إذا خدشت في أي جزء منها خاصة في تركيبة القيادة المنسجمة، فأنها تؤثر سلبا على إنجاز البرامج وتحقيق الأهداف، وتثير الإرباك والشك في الرأي العام.

ومن هنا تزداد مسؤولية القيادة وواجباتها، على اعتبارها تمثل الصورة المثلى للحركة، والدليل العملي (القدوة) لتحقيق الأهداف وتماسك الصف، والاستمرار في مقاومة ومواجهة حملات الإرجاف والتشكيك، وكلما كانت القيادة بهذه الصورة كلما استطاع كل أفرادها تحقيق الطموحات المشروعة لها، وكلما ضربت هذه الصورة، كلما حدث اللاتوازن وبالتالي ذهاب الريح لا قدر الله.

وفي سياق المسؤوليات المشتركة بين القيادة والقاعدة، تثار بين الحين والآخر تصريحات هنا وهناك تضرب القيادة بعضها ببعض، سواء تعلق الأمر بإثارة قضية حضور الحركة في منظمة فريدم هاوس، أو قصف رئيس الحركة بالثقيل في ما سمي إعلاميا قضية سويسرا[1]، حيث تطورت الدعاية منذ المؤتمر الرابع من داخلية إلى خارجية وكأنها تستهدف الحصار الدولي والعزلة عن القيام بأدوار

[1]- انظر الملحق رقم 01

الريادية للحركة في المحافل والتجمعات الإسلامية والقومية والعالمية، وهي ليست جديدة على الحركة فقد رمي بها الشيخ الرئيس محفوظ نحناح، عندما اتهمته صحيفة جزائرية[*] بأنه جند المئات من الجزائريين إلى أفغانستان واختارت التوقيت المناسب سنة 2001 أي بعد تفجيرات 11 سبتمبر 2001، وسوق آنذاك أن رئيس الحركة لا يمكنه أن يواصل جهوده الدبلوماسية التي اعترفت له بها الدولة الجزائرية أيام الأزمة، على أنه كان سفيرا فوق العادة للجزائر بدون تكليف من أحد للمنافحة عن الجزائر والإسلام، وسوقت آنذاك دعاية المنع في المطارات الدولية، ووصل الأمر في تشريعيات 2002 إلى اقتراح تقدم به بعض الإخوان للشيخ محفوظ نحناح حرصا عليه، بأن يترشح للبرلمان من أجل اكتساب الحصانة البرلمانية، وبالتالي الخروج من مأزق الدعاية التي سوقت في الصحف العلمانية آنذاك بقوة.

رهان العمل هو الحل

يبقى أن نشير إلى أن المرحلة التي تمر بها الحركة، هي مرحلة جد حساسة، ودقيقة تحتاج من القيادة والقاعدة حسا ووعيا كبيرين يفوتان الفرصة على خصوم الحركة الذين يحاولون جاهدين ضرب استقرارها ووحدتها، وتحويل أنظار المناضلين والمتعاطفين مع الحركة من الاستمرار في العمل والتركيز على الأولويات إلى العودة إلى مربعات الشك والقيل والقال وكثرة السؤال وهي مقتل ومهلكة ما دونها مهلكة.

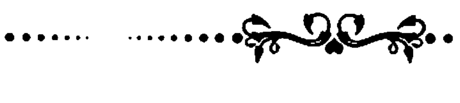
إن الرهان الأساسي بالنسبة لحركة مجتمع السلم والذي يجب أن تتميز فيه، هو رهان تحقيق الأهداف وتنفيذ البرامج وإعادة صياغة الخريطة الذهنية للقيادات البلدية والولائية والوطنية، من خلال الإعلان عن مشروع تأهيلي استدراكي لجميع القيادات وعلى كل المستويات، بغرض تحقيق هدف استراتيجي لأي حركة

* هي صحيفة لوماتان Le Matin

تجديدية وهو هدف وحدة التصور والفكرة والأهداف التي بدورها تحقق بلا شك وحدة المصالح والمصير، وهي أبجديات أي عمل جماعي جاد ومسؤول.

ذلك أنه ليس القصف الإعلامي والحملات الدعائية هي التي تشكل الخطر على حاضر الحركة ومستقبلها، ولكن مصدر القلق والخطر أن يتحول القصف من خارجي إلى داخلي، وأن ينتشر الهماز المشاء بنميم بين أفراد الحركة، وأن تسمح القيادات لبعض الأراجيف والأقاويل هنا وهناك أن تتمكن من صدقية الأخوة الإسلامية، فيتنازل البعض عن بعض شروطها وواجباتها، وتبقى الدعوة للإخوان بظهر الغيب هي البلسم الذي يمسح الإغارة والغيظ في الصدر، والاحتساب عن الله خلق نادر تحتاج إليه القيادة أثناء الأزمات وتلجأ إليه عند الخطوب.

لعلك أخي القارئ وأنت تتابع معي فقرات هذا المقال تبحث عن سؤال من وماذا؟ ولعلك تنكب الطريق إذا اعتقدت إنني سأتحدث عن أشخاص ومؤسسات بعينها تمتهن استهداف المنهج والقيادات والرموز، فأكون بذلك قد قدمت خدمة مجانية (لمن؟) حتى يقتات منها، ولكنها إشارات ضوئية تدل على المسير نحو الهدف بمرحلية وموضوعية وواقعية.




الفصل السادس

استراتيجية النضالية

الرؤية العملية

1. معالم استراتيجية في الدعاية والتسويق السياسي.
2. إشارات للتفاعل الجيد مع الأحداث.
3. المهارات المكملة (الاستماع، الاتصال، الحوار، التحدث، التعامل، القراءة السريعة).




معالم استراتيجية في الدعاية والتسويق السياسي

أهمية الخرائط الدعائية:

أصبح للخريطة الدعائية وظيفة جيوبولتيكية، لأن الخريطة ذات البعد الدعائي الجيوبولتيكي غالباً ما ترسم بأسلوب مفهوم، وسهل، وقابل للاستيعاب والتصديق.

والخريطة في الجغرافية هي إحدى الوسائل المهمة للفهم والاستيعاب ولتوزيع الظواهر الجغرافية (الطبيعية والبشرية والاقتصادية) المختلفة على سطح الأرض، وهي في الوقت نفسه، وسيلة خطيرة جدا في وسائل التضليل الجيوبولتيكي، إذا ما سخرت للأغراض الحربية والسياسية والإيديولوجية، كما فعل الألمان قبل وأثناء الحرب العالمية الثانية وعلى نطاق واسع. لقد أطلق على الخرائط الدعائية هذه في البداية اسم (الكارتوكرافي الجيوبولتيكي Geopolitical Cartography) بينما أطلق عليها في بريطانيا اسم (خرائط الدعاية) (Propaganda Maps) والخريطة لغة لتفسير حالة التباين المكاني(الجغرافي)، وبيان العلاقة بين اللغة والفكرة والإيديولوجيا والأرض لتسويق معلومات معينة عبر نموذج كارتوكرافي، أو موديل يجسده من خلال مزج الفكرة بالهدف السياسي والإيديولوجي لإبراز أو إنتاج خريطة تستخدم في الأغراض الدعائية لتوجيه الرأي العام وإقناعه بالتطلعات الجيوبوليتيكية والاستراتيجية للدولة.

ومصطلح الدعاية(propaganda) مصطلح قديم ظهر في 22 حزيران 1922 عندما أنشأ البابا كريكوري الخامس عشر فصيلا خاصا بالدعاية للمذهب

الكاثوليكي المسيحي لمواجهة المذهب البروتستانتي في العالم الجديد أطلق عليهم اسم (الحشود السرية لدعاية الإيمان. (والدعاية هي إحدى أساليب الاتصال الخاصة بالتأثير في أفكار الناس وأفعالهم، فكثيرا ما يدفع الإعلان التلفزيوني، أو البوستر، الناس على التصويت لمرشح معين، ويستخدم السياسيون هذا الأسلوب الدعائي في الترويج لأهدافهم، مثلما تفعل الشركات في الترويج لبضاعتها، وكذا الحال بالنسبة للخارطة الجيوبولتيكية فهي الأقدر في التأثير على الرأي العام وتغيير قناعاته في أوقات الأزمات والفترات الحرجة وفي الحروب([1]). ولعل أبرز من استخدم الخرائط (الكارتوكرافيا) لأغراض الدعاية الجيوبولتيكية، ولخدمة أهداف الحرب هم الألمان ففي العام 1922 أدرك أدولف هتلر القوة الكامنة وراء الدعاية لخدمة أغراضه الإيديولوجية والعسكرية، لذلك استحدث عند استيلاء الحزب النازي على السلطة وزارة خاصة بالدعاية ومنح حقيبتها للدكتور جوزيف غوبلز (1933- 1945) وجعله وزيراً لوزارة (الرايخ العام للتنوير والدعاية). وقد كان غوبلز من جانبه، أفضل رجل دعائي مؤثر في تاريخ ألمانيا الهتلرية، حيث استخدم الأسلوب البوستري والخرائط في الدعاية .

وجميع الأشكال الدعائية والتحريضية، سواء كانت عبر الخارطة، أو أية وسيلة إعلامية أخرى، تشدد في الدرجة الأساس على تفجير العواصف باتجاه الحدث الآني أو المستقبلي، والهدف منها هو لفت أنظار الرأي العام من خلال ربطها بين القيم والمفاهيم والأهداف في شكل معبر (خارطة أو بوستر) عبر تقنيات محددة كانت ولا تزال تنحصر في سبعة تكتيكات أو تقنيات للدعاية نشرها معهد التحليل الدعائي 1939 (Institute of propaganda Analysis) الذي أنشأه

[1]- د. فؤاد حمه خو رشيد، الدعاية وتضليل الرأي العام، جريدة الصباح.

العالم إدوارد فلن(Edward Filene) في مدينة نيويورك التي لا تزال، منذ ذلك التاريخ، ميراثا لمثل هذا النوع من الفن والأسس التي تنحصر فيها أهداف كل القضايا الدعائية، وهذه هي باختصار:

1- التسمية – الألقاب (Name calling): وهي تقنية يقصد بها تشويه سمعة الخصوم أو الفكرة المضادة، والهدف منها جعل الإنسان يرفض أية شخصية أو ظاهرة ما لم يتفحصها بسبب السمات السلبية التي تلصق به مثل الإرهاب، النازية، الفساد، الشذوذ، الريبة... الخ.

2- **العموميات** (Glittering Generalities): استخدام الكلمات البراقة لجلب الانتباه وإثارة الانفعالات وهي نقيض ما جاء في الفقرة وذلك باستخدام عبارات غامضة مصحوبة بالتهويل والاستحسان مثل الحرية، الشرف، الوطنية، الحب، المواطنة الصالحة، للشخص أو الفكرة المراد إبرازها.

3- **التحول** (Transfer): وهي تقنية تجعلك تؤجل تصديق أو استحسان شيء ما تحترمه وتبجله، وتنقلك الدعاية إلى تصديق شخص آخر وتقبله، وتحويله إلى رمز أو فكرة.

الإشادة (Testimonial): تقنية القصد منها رفع أهمية الشخص، أو التجربة أو الحدث، وذلك باستخدام بعض النصوص للإقرار بصحة الحدث، من خلال تحريك العواطف والأحاسيس وليس بالمنطق.

4- مصارحة الناس(plain folk): تقنية يراد بها إقناع الجماهير من خلال التركيز في الدعاية لشخص معين لإظهار مصداقيته وقدرته وأفضليته... كمعلم ومنقذ.

5- **تجميع البطاقات** (Card stacling): تقنية يراد بها اتباع نزعة التطرف لتبنى موقف معين أو تأييد حزب أو شخص معين.

5- الجوقة (Bandwagon): تقنية الهدف منها إقناع الناس بالعمل ضمن المجموعة، أو الحزب، أو الجوقة وليس خارجها.

أساليب التسويق السياسي وقطاعات السوق السياسي:

وفي هذا الخصوص يمكن ذكر بعض الأساليب الممكن استخدامها في التسويق السياسي باختصار على النحو الآتي:

1. دراسة الرأي العام والتي تتم على أساس التحليل الاجتماعي والديموغرافي.
2. تحديد أساليب الإعلام والإعلان وتقرير الحملة الانتخابية أو تخطيطها.
3. تحليل معطيات السوق السياسي.
4. تحديد المنتج السياسي.
5. تحديد أساليب الاتصال الجماهيري، مع مراعاة الإقناع والهدف الانتخابي وفئات الجماهير المستهدفة وقواعد الإقناع السياسي.
6. تمويل الحملة الانتخابية.

سوق السياسة يمكن تقسيمه على أساس الجمهور إلى:

1. سوق الناخبين.
2. سوق الممولين الذين يقومون بتقديم الدعم المالي للحملة الانتخابية للمرشح أو الحزب.
3. سوق القادة، أي قادة الرأي ورجال الصحافة والإعلام.

التسويق الانتخابي والتسويق السياسي والدعاية[1]

إن التسويق الانتخابي هو امتداد للتسويق السياسي والاجتماعي ويمكن القول أيضا إن التسويق الانتخابي يهدف إلى حمل أو تشجيع أكبر عدد ممكن من

[1]- عبد السلام محمود أبو قحف، بناء المهارات التسويقية في فن البيع والتفاوض وتخطيط الحملات، سلسلة محاضرات.

الناخبين على الإدلاء بأصواتهم لصالح حزب أو مرشح سياسي معين أما بخصوص الدعاية السياسية فالدعاية السياسية هي مجموعة تقنيات وعمليات تهدف إلى توصيل معلومات وأفكار ومشاعر معينة إلى الناخبين وهذا الاتصال يخلق ويقوي أو يحطم بعض الآراء أو المعتقدات لدى الناخب، الأمر الذي يخلق استعدادا مسبق للمرافقة على عقيدة سياسية، أو طروحات معينة للمرشح، وهذا بلا شك يؤثر على اختيارات الناخب السياسي بشكل أو بآخر كما أن الدعاية السياسية لا يمكن أن تحل محل التسويق السياسي لما تحتويه من ألاعيب وتمويهات ومبالغة.

الأطر العامة للتسويق السياسي:

إذا كان السوق السياسي هو مجمل أو مجموع الأفراد والمنظمات الذين لهم تأثير في القرار السياسي الذي تتم ترجمته من قبل الناخبين بالتصويت أو الامتناع عن التصويت فإن السوق السياسي يتكون من:

1. مجموعة الناخبين.
2. المنافسة وهي ركيزة التسويق السياسي باعتبارها أسلوب التأثير والإقناع.
3. الأحزاب.
4. المرشحين.
5. حركة القرارات والتمويل.
6. مواقع ممارسة الحكم.
7. الموارد السياسية.
8. جماعات الضغط وعناصر البنية الأساسية الأخرى للسياسة.

أما بالنسبة لإطار عمل التسويق السياسي فإنه يحتوي على الأتي:

أولاً: الأطر القانونية والدستورية وتشمل ما يلي:

1. القوانين الانتخابية.
2. أسلوب التصويت
3. توزيع المقاعد طبقا للمحافظات.
4. الاستخدام الاستراتيجي للضغوط الدستورية.

ثانيا: الأطر الاجتماعية:

وهي خاصة أو ترتبط بوسائل الإعلام والاتصال الجماهيري حيث تلعب وسائل الإعلام دورا أساسيا في الحياة السياسية كما أنها تمثل وسائل الثقافة الشعبية من ناحيتين:

1 ـ مدى ارتباطها بالدولة أو تبعيتها للدولة كسلطة رسمية.

2 ـ تأثير وسائل الإعلام على الرأي العام وعلى المواقف وسلوكيات المواطنين وفي كل الحالات فإن الأمر يحتاج إلى ضرورة ما يلي:

1) تعبئة وسائل الإعلام ـــ صحافة، إذاعة، تليفزيون.

2) إدراك أهمية الإعلان السياسي.

3) إدراك فترة التأثير السياسي لوسائل الاتصال الجماهيرية وحدودها حتى وإن كان من الصعب قياس هذه الحدود.

ثالثاً: المستفيدون من التسويق السياسي:

يساهم في الحياة السياسية عدد من الأطراف هي المستفيدة بالدرجة الأولى من التسويق السياسي وتتمثل هذه الأطراف في:

1. الأحزاب السياسية / وتمثل أحد الأطراف الهامة في الحياة السياسية سواء من ناحية وظائفها التنظيمية أي من حيث استقرار تياراتها الإيديولوجية أو دورها كمحرك رئيسي للمواطنين.

2. جماعات الضغط وجماعات المصالح / وهذه الجماعات قد تتمثل في الأجهزة الوسيطة التي لها دور فاعل في الحياة السياسية مثل النقابات والجمعيات المهنية والدينية وتنقسم هذه الجماعات إلى نوعين:

أ- جماعات الضغط وجماعات المصالح وهذه الجماعات ذات الوجود الإلزامي مثل النقابات المهنية

ب- الجماعات ذات التكوين الاختياري (مثل الشركات الصناعية والتجارية والتجمعات العلمية والأهلية).

أساليب التسويق السياسي تتمحور حول:

1) دراسة الرأي العام والتي تتم على أساس التحليل الاجتماعي.

2) تحديد أساليب الإعلام وتقرير الحملة الانتخابية.

3) تحليل المعطيات في السوق السياسي.

4) تحديد المنتج السياسي.

5) تحديد أساليب الاتصال مع مراعاة:

أ- الإقناع

ب- الهدف الانتخابي

ج- فئات الجماهير

د-قواعد الإقناع السياسي

6) تمويل الحملة الانتخابية.

مضمون الإعلان السياسي:

بصفة عامة يتم البحث عن الحجج التي تهدف لكسب موافقة الناخبين واختيار هذه الحجج يتم أيضا في ضوء عدة معايير بعضها موضوعي أما الآخر فهو شخصي، كما يتحدد محور بناء مضمون الإعلان السياسي طبقا لكل من:

أ- الأيديولوجية السياسية والتي يجب عرضها أولا.

ب- منهجية الاتصال والتي يجب أن تتصف بالبساطة وأن تشكل حلا للرأي العام.

وما إن يتم تحديد المضمون للإعلان ومكونات الاستراتيجية يجب إعادة قولبة المكونات في ضوء دوافع وتطلعات الجماهير وكذلك الأهداف الموضوعة.

ويجب التفرقة أيضا بين خمسة أنماط من المرشحين.

1) مرشح يتميز بميزة خاصة تتوافق مع ميول الناخبين.

2) مرشح يتميز بخاصية لا تتوافق مع ميول الناخبين.

3) مرشح لا يتميز بأي ميزة أو خاصية وإنما يتمتع بشيء ما لا يتوفر لخصومة وهذا الشيء يرفعه فوق مرتبة اللامبالاة.

4) مرشح لا يتمتع بأي ميزة أو خاصية ولكن الخصوم قالوا كل ما لديهم في ما هو مهم ويستحيل تغير أي شي في الوضع الراهن.

5) مرشح لا يتمتع بأي ميزة خاصة ولكن يمكن إرجاع بعض الإنجازات إليه.

قواعد اللعبة (قواعد الدعاية والإعلان السياسي):

1) قاعدة التبسيط (قاعدة الخصم الوحيد) حيث تعتمد هذه القاعدة على تأثير كلمة معينة أو عمل زعيم معين.

2) قاعدة التهويل أو المبالغة أو التضخيم.

3) قاعدة الإجماع.

4) قاعدة التكرار الدائم لنفس الفكرة.

5) قاعدة النقل والتجديد.

6) قاعدة الدعاية المعاكسة.

التكتيك والدعاية.

إن الجهل بتقنيات الدعاية يعد أمراً مرفوضا في عالم اليوم وإذا كان الإعلام لا يعتبر بمثابة هدف في حد ذاته بل هو وسيلة لمعالجة الأخبار في إطار من المنطق والتلقائية فضلا عن شموله للوسيلة وأساليب المعالجة ووظائفها وحقول التطبيق... وغير ذلك، فإن الدعاية وإن استخدمت نفس وسائل الإعلام فإنها تفتقر إلى المنطق والتلقائية... في معظم الحالات.

أركان الرأي العام كظاهرة.

ينطوي الرأي العام على خمسة أركان رئيسية هي:

الركن الأول/ وجهة نظر الأغلبية.

الركن الثاني/ وجود قضية عامة تهم غالبية المجتمع.

الركن الثالث/ أن يكون الرأي العام في زمن معين حتى يمكن تجنب التداخل الزمني

الركن الرابع / المناقشة والجدل.

الركن الخامس / تحقيق الصالح العام.

الفرق بين الرأي العام والاتجاه العام.

أ/ الرأي العام هو الرأي الغالب والمؤقت والناتج عن حدث أو أحداث ظرفية وهو لا يعتبر من الثوابت الثقافية أو الدينية أو المعتقدات.

ب/ الاتجاه العام هو رأي يتصل اتصالا وثيقا بالإرث الثقافي والاجتماعي والعادات التقاليد ويتصف بالثبات والديمومة النسبية.

ج/ الرأي العام لا يتطلب الإجماع، والإجماع لا ينشأ إلا في قضايا متفق عليها وغير خاضعة للجدل.

مبادئ الدعاية الناجحة:

يمكن تلخيص بعض المبادئ كالآتي:

1) توجيه الدعاية إلى الأشخاص لا إلى الموضوعات.

2) يجب إخفاء الدعاية أو تمويهها وإلا تعرضت للفشل.

3) يجب أن تستند الدعاية إلى المعلومات ذات القيمة وإلى المعرفة لمجريات الأمور

4) توجيه الدعاية إلى القضايا الراهنة والمعروفة تماما لدى الشعب.

5) على الصعيد الدولي، من الضروري توافر المعرفة الدقيقة بلغة البلاد التي توجه إليها الدعاية.

6) مبدأ ديناميكية الدعاية، بمعنى أن تكون مواكبة للتطورات والمستجدات السياسية والاقتصادية.

7) ضمان حرية الحركة والتنفيذ للقائمين على تنفيذ الدعاية.

الخطوات العملية اللازمة للتطبيق على تنفيذ الدعاية.

1) المعرفة بنفسية الجماعة المستهدفة بالدعاية.

2) ابتعاد الدعاية عن التكرار الممل.

3) استخدام تكرار الدعاية بطريقة منظمة.

4) استغلال عامل الدين لـتأثيره الكبير في النشاط الدعائي مثل الاستشهاد بحديث ديني أو آية قرآنية.

5) التحريف، كأن يقوم أحد المسئولين بنقل خبر منسوب إلى شخص أو دولة مع تعمد التحريف البسيط.

6) الحذف له أهمية كبيرة، مثال ذلك إذا أردت شعباً أن ينسى قائدا مشهورا احذف أخباره أو صوره.

7) التحدث عن الفكرة في كل مكان بأساليب متنوعة.

8) التضخيم والتهويل.

9) قليل من الأفكار، كثير من التكرار.

الحرب النفسية:

الحرب النفسية من حيث المفهوم، يمكن النظر إليها باعتبارها حملة شاملة تستهدف التغلغل في ثوابت القيم والقناعات الراسخة والتأثير على الروح المعنوية عند الشعوب أو الجماهير أو الجيوش على حد سواء بهدف كسرها أو تفتيتها بما يتلاءم مع أهداف الجهة التي تشن هذه الحرب أن الحرب النفسية لها تسميات عديدة مثل:

- حرب العقول
- حرب الأذكياء
- الحرب العلمية
- الصراع بين الأمم.

أولاً: مقومات الحرب النفسية وأهدافها [1]:

1) محاولة السيطرة على العقول والأفكار للتأثير على الرأي العام.

2) العمل على إضعاف ثقة الشعوب في نفسها وفي قيادتها.

3) العمل على تحطيم ترابط الجماهير تمهيدا للسيطرة عليها.

4) استغلال معاناة الشعوب من الأزمات الاقتصادية.

5) إضعاف القيم الدينية السائدة.

6) تنمية الخلافات الطائفية والحزبية تمهيداً للغزو الفكري.

7) تحريف الحقائق.

8) استغلال الثقافة وكبار الكتاب في تزييف الحقائق.

ثانيا: أساليب الحرب النفسية:

1) الشائعات، سواء كانت شائعات عنيفة والتي يكثر حدوثها ووجودها أثناء الحروب أو الشائعات الزاحفة التي يتم تداولها ببطء بين الناس وهناك الشائعات الوهمية التي تعتمد على الخوف والإحباط.

2) افتعال الأزمات: ويكون ذلك بالدس والوقيعة واصطناع الأخبار المزيفة.

3) إثارة الرعب والفوضى.

4) غسيل الدماغ.

---

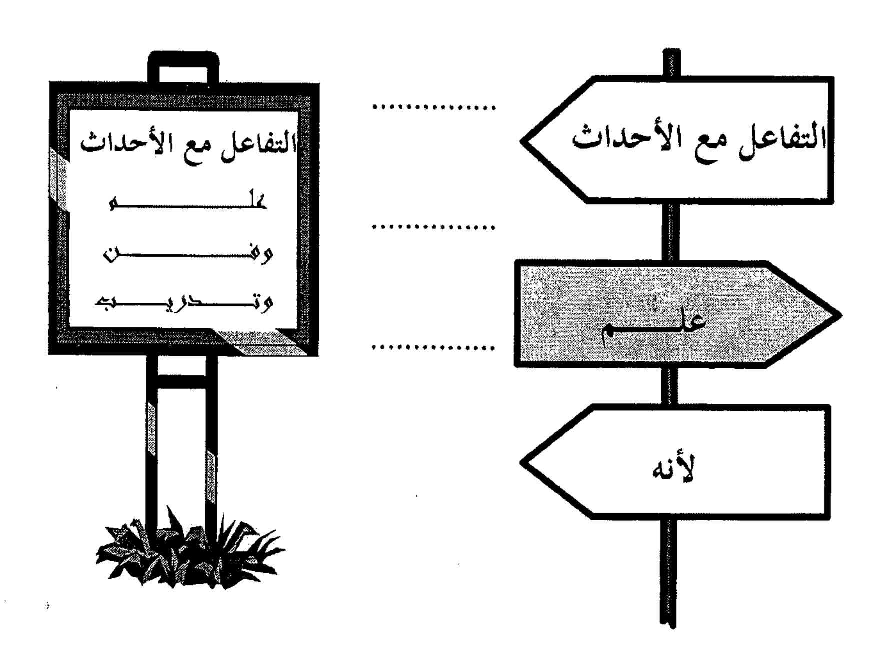
[1]- نفس المرجع السابق

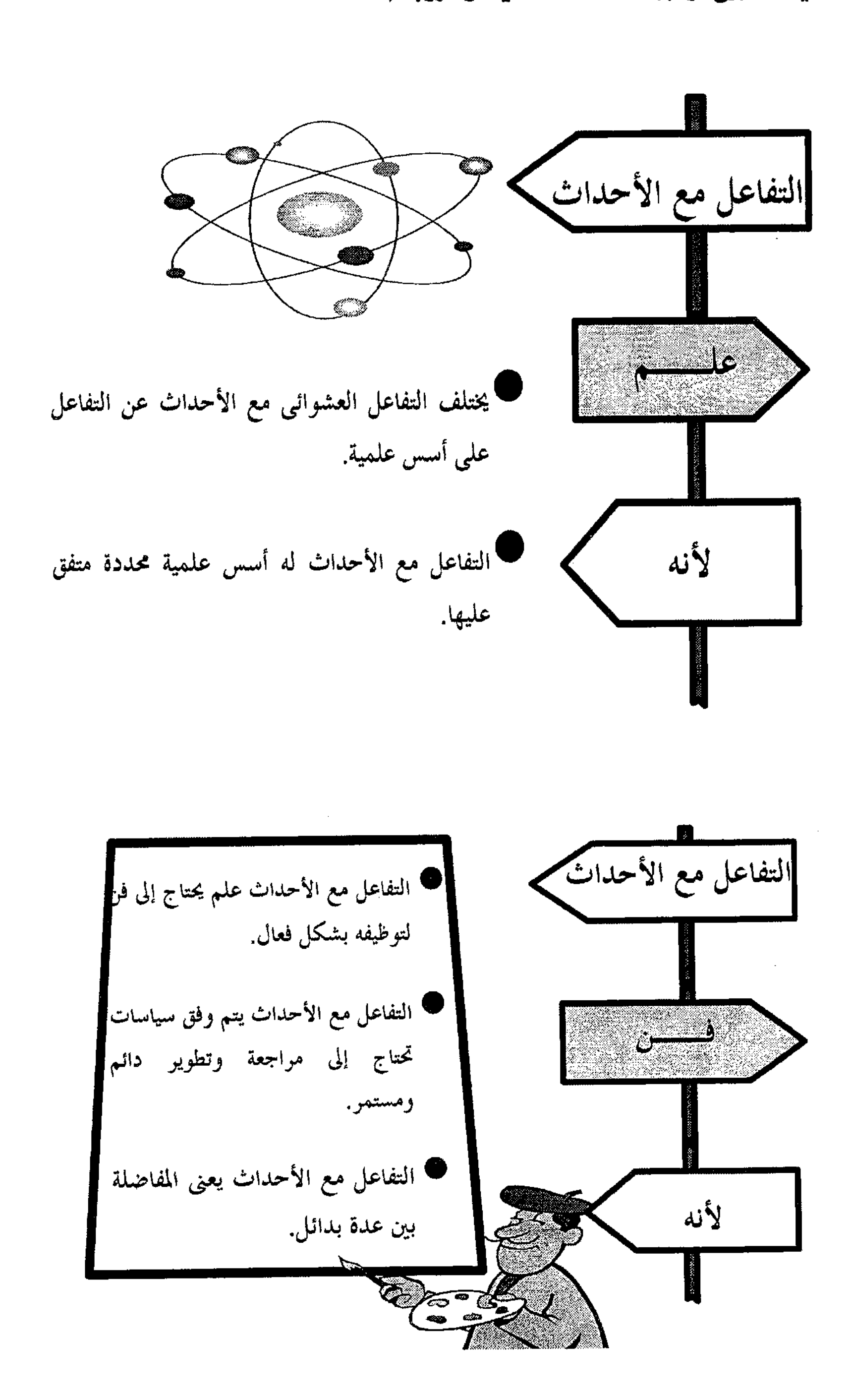
التفاعل مع الأحداث واستراتيجية النضالية

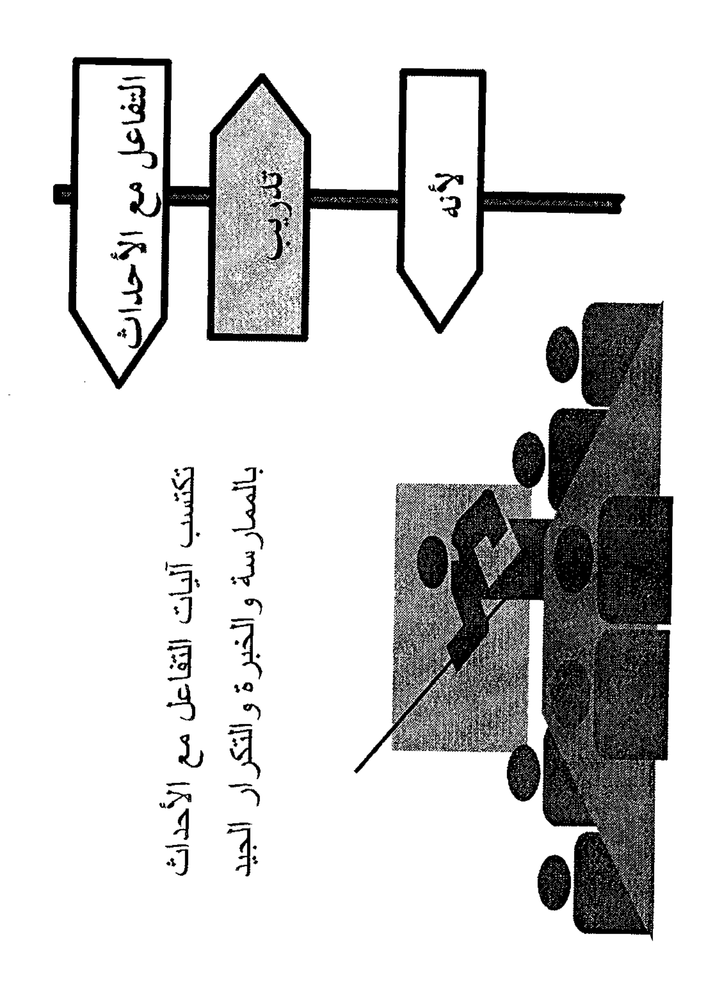
إذا علمت إنسانًا كيف يتفاعل مع "حدث ما" فإنك تمنحه الحياة ما يساوى مدة هذا الحدث الزمنية.

أما إذا علمته كيف يتفاعل مع "الأحداث" فإنك تمنحه الحياة طول العمر.

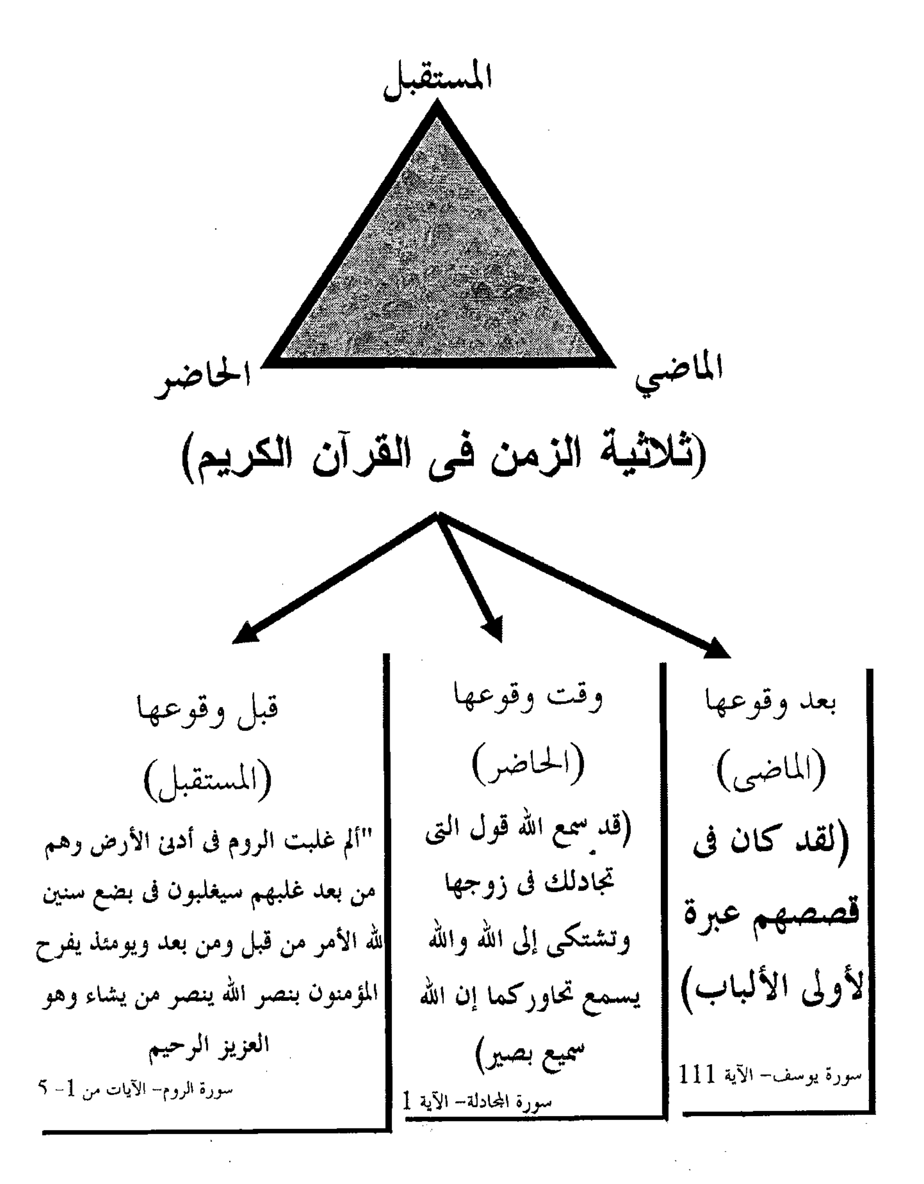
ولكنك إذا علمته كيف "يصنع" الأحداث فإنك تضيف إلى عمره حياة جديدة.




التفاعل مع الأحداث
علـــم
يختلف التفاعل العشوائى مع الأحداث عن التفاعل على أسس علمية.
لأنه
التفاعل مع الأحداث له أسس علمية محددة متفق عليها.
التفاعل مع الأحداث
فـــن
لأنه
التفاعل مع الأحداث علم يحتاج إلى فن لتوظيفه بشكل فعال.
التفاعل مع الأحداث يتم وفق سياسات تحتاج إلى مراجعة وتطوير دائم ومستمر.
التفاعل مع الأحداث يعنى المفاضلة بين عدة بدائل.


التفاعل مع الأحداث
تدريب
لأنه
تكتسب آليات التفاعل مع الأحداث
بالممارسة و الخبرة و التكرار الجيد

التفاعل مع الأحداث في القرآن الكريم



أهميـة التفاعل مع الأحداث:

تتكلم الأحداث بصوت أعمق أثرا من اللسان لتعبر عن نفسها فتقول إنها تعنى:

- خبرة جديدة
- ظرف مناسب
- تحريك المياه الراكدة
- إننى وقود للخطة
- تجربة مثيرة ومشوقة
- فرصة مواتية
- الهروب من دائرة الانكماش
- استثمار للموارد المتاحة
- قيمة مضافة للعمل
- التربية بالموقف لأن الموقف لا ينسى
- وسيلة لزيادة الإحساس بالحياة

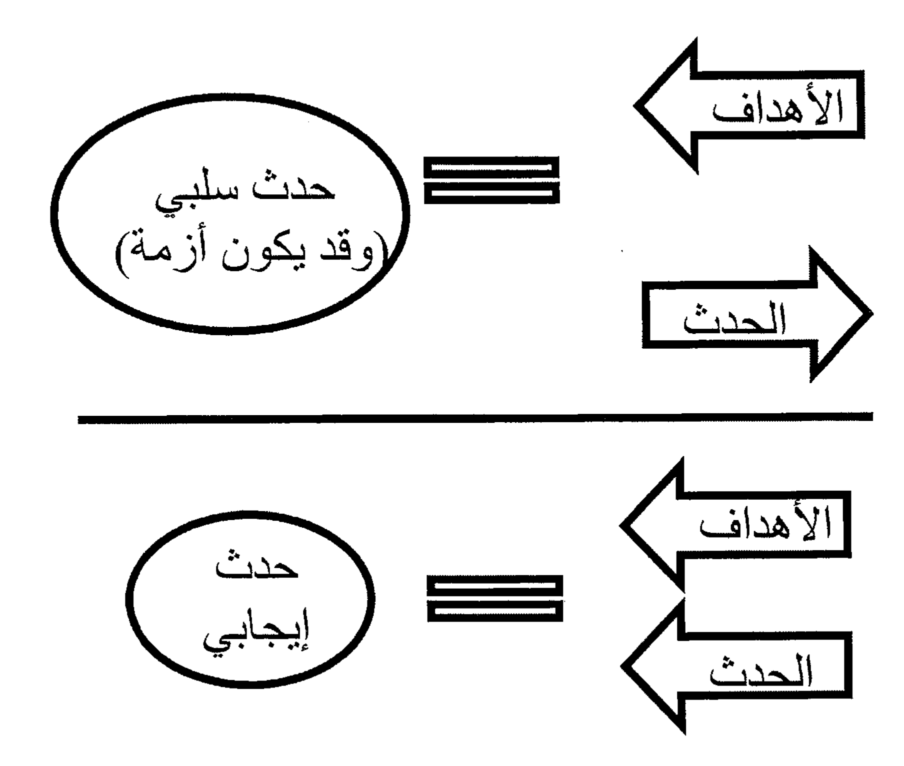
«لا يجب أن نكون أشخاصًا تؤدى أدوارًا في سيناريو يكتبه الآخرون»

تحذير:
يجب أن لا يتحول تعاملنا مع الأحداث إلى استراتيجية ردود الأفعال وبالتالي تجرفنا الأحداث بعيدًا عن مساراتنا الأساسية.

ولكن:
يجب أن تكون المؤسسة مرنة وعندها قدرة التكيف مع الأحداث المتغيرة انطلاقًا من رؤية واضحة.

تعريف الحدث:

هو كل تأثير مادي أو معنوى إيجابي أو سلبي أو محايد يأخذ أشكالا مؤثرة على الأهداف والمشروعات والمسارات والوسائل وذلك على المستوى الداخلى للمؤسسة أو البيئة المحيطة بها.



تعريف الأزمة:

هي كل تأثير سلبي مادي أو معنوي يأخذ أشكالاً حادة في التأثير على الأهداف والمشروعات والمسارات والوسائل وذلك على المستوى الداخلي للمؤسسة أو البيئة المحيطة بها.

وبهذا المفهوم فإن كل أزمة حدث وليس كل حدث أزمة.

أهداف التفاعل مع الأحداث

بالنسبة للحدث الإيجابي:

- الاستفادة من الحدث
- تقوية الحدث
- توظيف الحدث
- الحفاظ على استمراره أطول فترة ممكنة
- الاستفادة من الحدث إعلاميًا.

بالنسبة للحدث السلبي:

- منع الحدث
- تغير الحدث جزئيًا
- إعادة توجيه الحدث لوجهة أخرى
- تعميق كره نتائج الحدث.

أنواع الأحداث

انتبه!



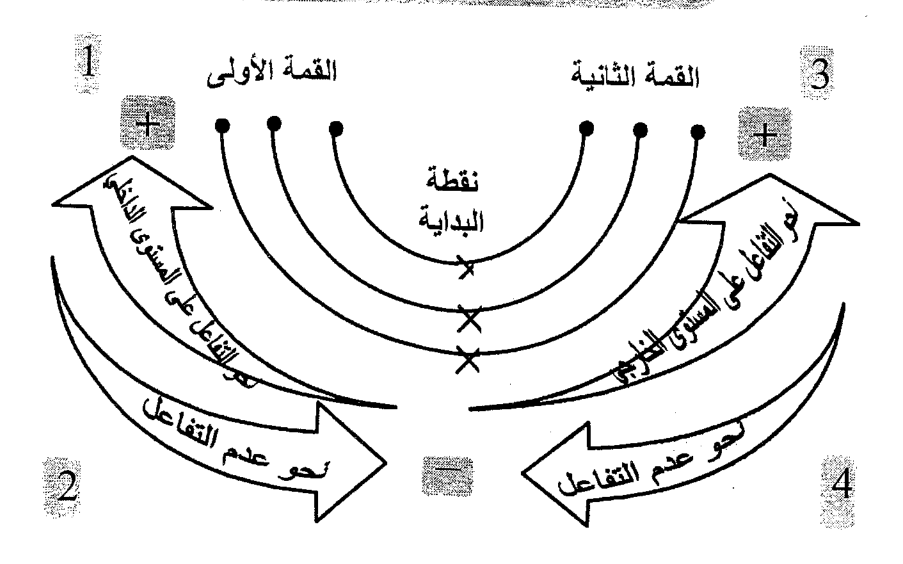
* العين العادية تتشابه أمامها جميع الأحداث.
* العين الخبيرة هي القادرة على:
- التمييز بين أنواع الأحداث المختلفة.
- التعامل مع كل نوع.

إن اختلاف تصنيف الحدث يرجع إلى اهتمام الشخص المصنف للحدث وكذا تأثير الحدث على الشخص المصنف، ولكن تذكر أنه: يجب أن ينظر للحدث من جميع جوانبه فقد يكون مقصودًا به أكثر من مؤثر فينبغي التعامل معه على أكثر من أساس.

الخصائص العامة للتفاعل مع الأحداث

1. يوجد مدى للتفاعل مع الأحداث.
2. مدى التفاعل = المسافة بين القمة (أقصى درجات التفاعل) والقاعدة (أدنى درجات التفاعل).
3. مدى التفاعل يشمل كافة الإمكانات والقدرات المتاحة للوحدة التنفيذية.
4. مدى التفاعل مع الأحداث يضيق ويتسع بتغير الظروف البيئية والإمكانات المتاحة.
5. التفاعل مع الأحداث لا يسير على وتيرة واحدة.
6. قوة التفاعل مع الأحداث على المستوى الداخلي = قوة التفاعل مع الأحداث على المستوى الخارجي.
7. لتفاعل مع الأحداث يجب أن يكون دائما ومستمرا.

التفاعل مع الأحداث أرجوحة لا تتوقف



عندما تتحرك الأرجوحة للأمام وإلى الخلف فإن حركتها تكون بين قمتين مرورا بنقطة الابتداء (القاعدة).

القمة الأولى:

تمثل أقصى درجات التفاعل مع الأحداث على المستوى الداخلي في حدود الإمكانات والظروف المتاحة.

القمة الثانية:

تمثل أقصى درجات التفاعل مع الأحداث على المستوى الخارجي في حدود الإمكانات والظروف المتاحة.

القاعدة:

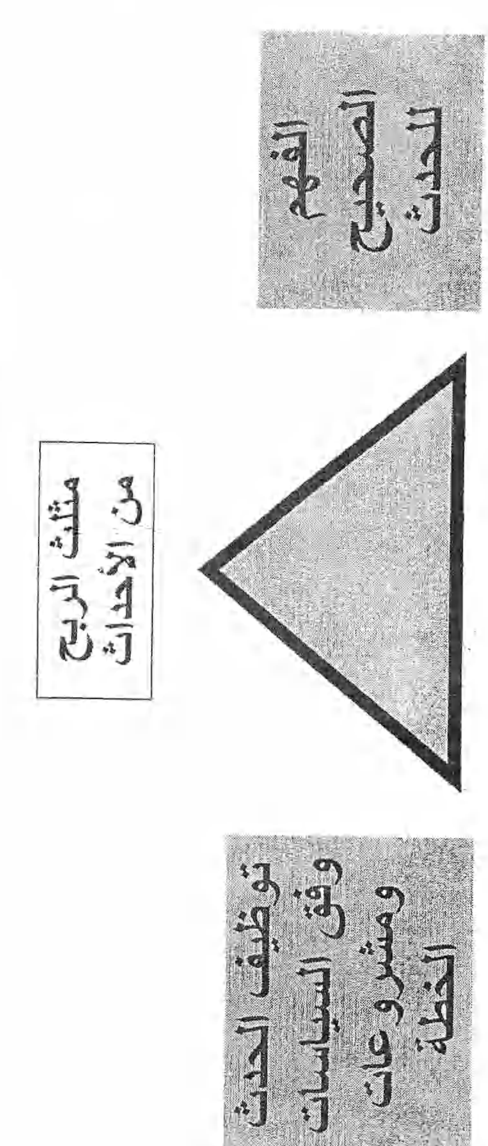
تمثل أدنى درجات عدم التفاعل مع الأحداث (التجاهل).

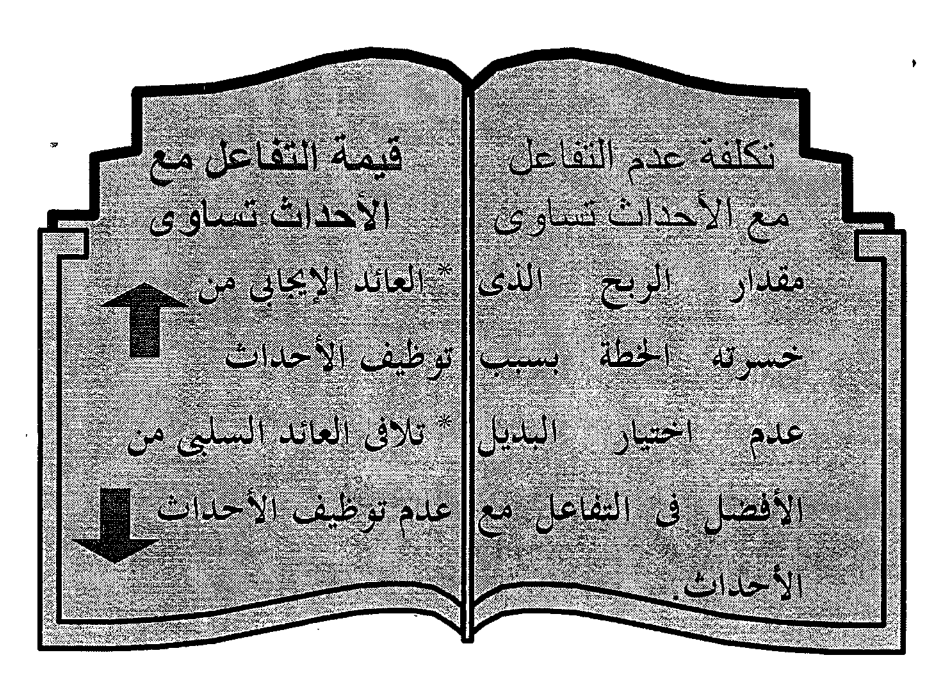
الخصائص الإدارية التي تساعد على التفاعل الجيد مع الأحداث

1. التخطيط للتفاعل مع الأحداث
2. الاتصال المرن
3. التوحد
4. التفويض
5. سياسات معتمدة
6. التدريب على مهارات التفاعل مع الأحداث
7. إدارة الوقت
8. السرعة في اتخاذ القرار
9. التوظيف
10. التنسيق


المكاسب والخسائر للتفاعل مع الأحداث

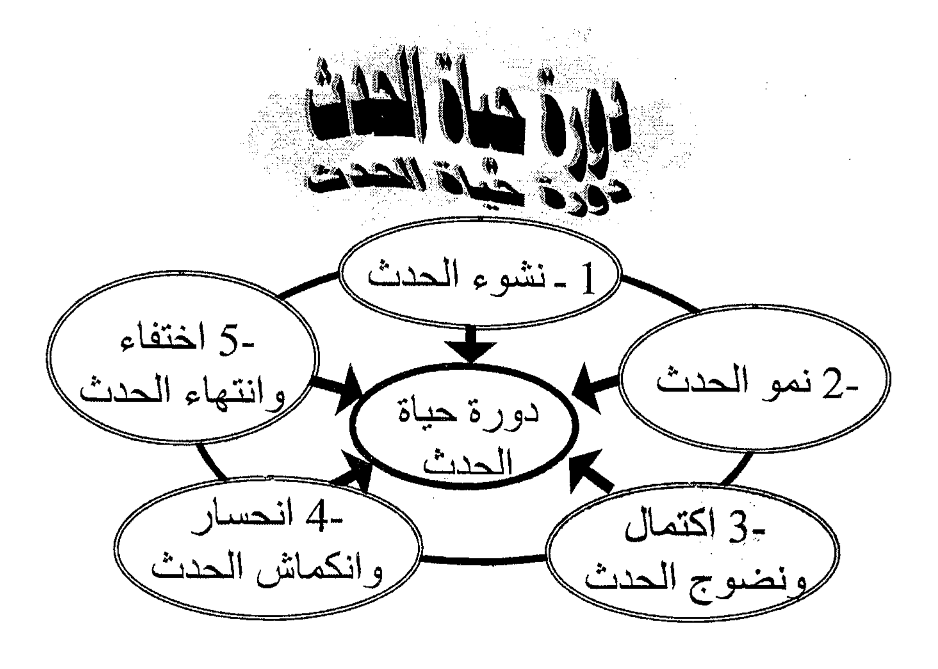

توقيت بدء التفاعل مع الأحداث


مثلث الربح من الأحداث
الفهم الصحيح للحدث
توظيف الحدث وفق السياسات ومشروعات الخطة

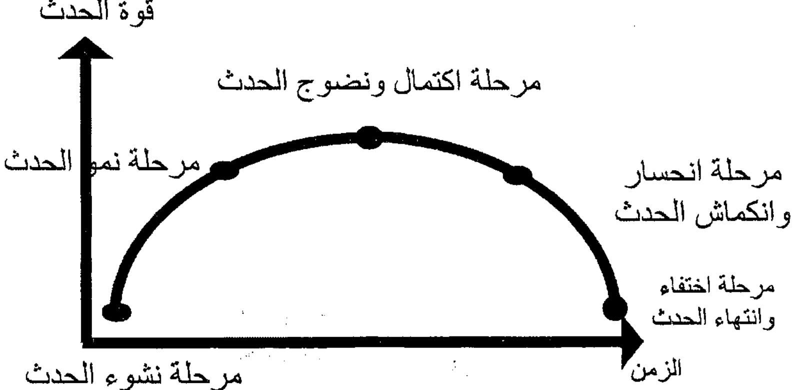


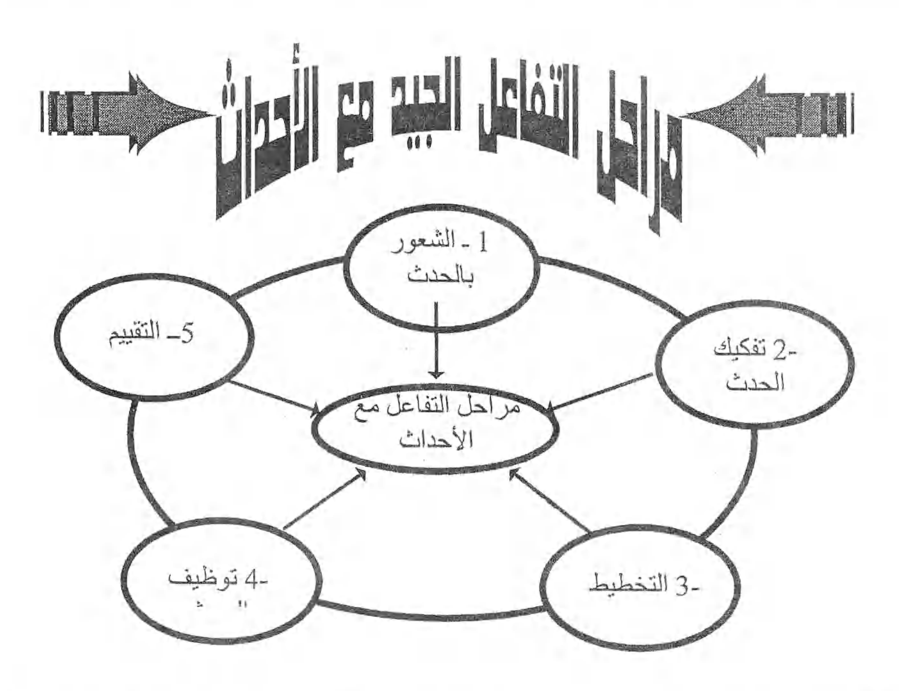


خير الأمور الوسط.. وفى المنطقة الوسطى مدى واسع للتعبير عن التفاعل مع الأحداث


دورة حياة الحدث
دورة حياة الحدث
1 - نشوء الحدث
2- نمو الحدث
3- اكتمال ونضوج الحدث
4- انحسار وانكماش الحدث
5- اختفاء وانتهاء الحدث
دورة حياة الحدث


منحنى دورة حياة الحدث


قوة الحدث
مرحلة اكتمال ونضوج الحدث
مرحلة نمو الحدث
مرحلة انحسار
وانكماش الحدث
مرحلة اختفاء
وانتهاء الحدث
مرحلة نشوء الحدث
الزمن



1. الشعور بالحدث: يبدأ التفاعل مع الأحداث مع البعد الشعوري أو النفسي ومن خلال معرفة أهدافها وهي:

1. التنبؤ بوقوع الأحداث المحتملة.
2. الشعور واكتشاف أن هناك حدثا وعدم إنكاره.

ومعرفة وسائلها من ضبط التوقيت الصحيح للتفاعل مع الحدث عن طريق:

1- الأحداث الدورية:

فى مواعيدها على الدوام (الموسوعة الذهبية في المواعيد).

2- الأحداث الطارئة:

1- استشعار إشارات الأحداث قبل وقوعها.

2- تعلم كيفية فصل الإشارات التي تشير إلى وقوع أحداث مختلفة عن وابل الضوضاء المحيط بنا.

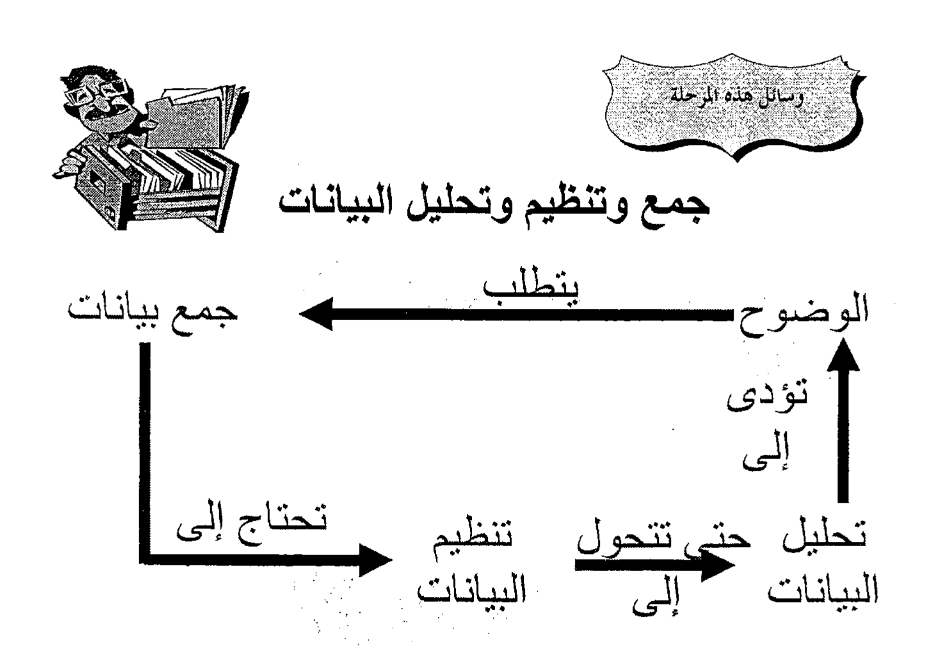
3- تصميم نظم الإشارات الخاصة بكل نوع من أنواع الأحداث الطارئة.

ولكن تذكر:

- توقيت بدء التفاعل مع الحدث لا يقل أهمية عن مضمون التفاعل مع الحدث.
- التوقيت الخاطئ في بدء التفاعل يجعلك تخسر كل شئ رغم روعة عملك.
- الاستعداد المبكر يجعلك فى موقف أفضل.
- الإدراك المتأخر يزيد المخاطر ويعرض المكاسب (الفردية - الجماعية) لعدم الأمان.

2- **مرحلة ت ف ك ي ك الحدث:** تفكيك الحدث يعنى تحليله .

أهداف هذه المرحلة: تهدف هذه المرحلة إلى تكوين رؤية كفيلة بتحقيق المستهدف من التفاعل مع الحدث وهى مرحلة تقع بين الفكرة المجردة والتطبيق العملي، حيث تكون رؤية تمكنك من التفاعل الجيد.



1. **مواصفات البيانات المجموعة:**

*الارتباط: كلما كانت البيانات مرتبطة بالحدث كلما اتضحت أبعاده.

*الدقة: كلما كانت البيانات دقيقة كلما تجددت أبعاد الحدث.

*الاكتمال: كلما تكاملت البيانات كلما اتضحت جوانب الحدث.

*التزامن: يجب أن تكون البيانات محددة ومرتبطة بتاريخ وقوع الحدث.

*خبرات سابقة فى أحداث متشابهة: (معرفة أدائنا وأداء الآخر).

2. **تنظيم البيانات:**

يساعد على فهم أفضل لما يلى:

أ- مـاذا يحدث الآن: مرحلة التشخيص.

ب- لماذا وكيف حدث: معرفة الأسباب.

جـ- ما هى الخيارات المتاحة: تحديد البدائل.

د- ما هى النتائج المترتبة على كل خيار: الاستنباط.

أهمية تنظيم البيانات:

-تزداد القدرة على اكتشاف علاقات الارتباط بين البيانات.

- تمييز السبب عن النتيجة.

-فهم الأحداث المعقدة.

3. **تحليل بيانات الحدث استراتيجيًا:**

*أثره على أهدافنا طويلة الأجل (مساعد - معوق - محايد - يمكن تطويعه)

*أثره على وسائلنا الاستراتيجية (مساعد - معوق - محايد - يمكن تطويعه)

*إمكانياتنا فى الاستفادة منه:

-استفادة تغييرية مباشرة.

-استفادة إعلامية غير مباشرة.

-لا إمكانية للاستفادة منه.

دلالاته بالنسبة لخططنا الاستراتيجية:

- يكشف لنا بعض أخطاء فى التخطيط.
- بعض القصور فى أساليب جمع المعلومات.

ملاحظة: يجب الجمع المتوازن بين التفسير الهيكلى والتفسير التآمري."

كيف يأتي الوضوح؟ يأتى الوضوح الذى يقودنا إلى سرعة فهم الحدث من خلال الإجابة عن التساؤلات التالية:

الحصول على 10 على 10 من المعلومات وهذا يعنى فهم الحدث جيدا، ولحصول ذلك اطرح الأسئلة التالية:

1- ماذا حدث: توصيف الحدث.

2- متى حدث: زمن وقوع الحدث.

3- أين حدث: أى جزء من المؤسسة يتأثر بالحدث؟

4- من أحدثه: الجهة التى تقف وراء الحدث؟

5- ما الأطراف: التى تهتم بالحدث نحن فقط أم هناك غيرنا؟

6- كيف حدث: الطريقة التى وقع بها الحدث.

7- لماذا حدث: أسباب وقوع الحدث؟

8- تأثير الحدث على أهدافنا: مساعد – معوق – محايد يمكن تطويعه – محايد لا يمكن تطويعه.

9- تأثير الحدث على مساراتنا: مساعد – معوق – محايد يمكن تطويعه – محايد لا يمكن تطويعه .

10-تأثير الحدث على وسائلنا: مساعد – معوق – محايد يمكن تطويعه – محايد لا يمكن تطويعه.

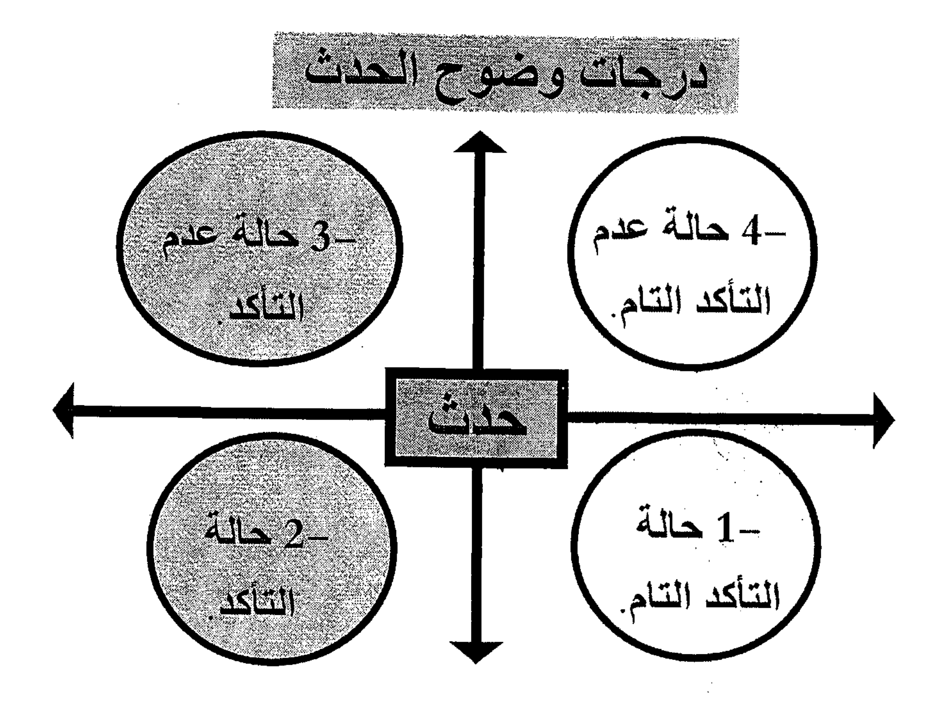
تحديد درجة الوضوح
الحدث = جبل الثلج

حالة عدم الوضوح = صفر% التأكد التام الغموض=100 %	حالة عدم درجة الغموض أكبر التأكد من درجة الوضوح
مظاهر الحدث	**مظاهر الحدث**
الأسباب الكامنة **الأفكار الغير معلنة** **الاتجاهات الخفية** **المشاعر المستترة** **الأطراف الغير معروفة**	**الأسباب الكامنة** **الأفكار الغير معلنة** **الاتجاهات الخفية** **المشاعر المستترة** **الأطراف الغير معروفة**

الحـــدث = جبل الثلج

مصيدة الحدث

يتعين على فريق إدارة الأحداث مراقبة السلوك الظاهر المرئي للحدث باعتباره قمة جبل الثلج وتحليله وصولا إلى الدوافع الكامنة والأفكار الغير معلنة والاتجاهات الخفية والمشاعر المستترة والأطراف الغير معروفة للحدث.



1- **حالة التأكد التام**: هي الحالة التي تتوفر فيها لصانع القرار كافة البيانات والمعلومات عن كل جوانب الحدث واللازمة لاتخاذ القرار الصحيح بنسبة100% يكاد يكون من المستحيل وجود هذه الحالة من الناحية العملية.

2- **حالة التأكد**: حالة يتوفر لها قدر من البيانات والمعلومات لكنه غير كاف، تعنى أننا نعرف أكثر مما نجهل عن الحدث.

3- **حالة عدم التأكد**: حالة تغيب فيها البيانات والمعلومات بدرجة ملفتة ولكنها غير مطلقة، تعنى أننا نجهل أكثر مما نعرف عن الحدث. وهي من الأمور الطبيعية عند التفاعل مع الأحداث.

4- **حالة عدم التأكد التام**: تعني غياب كافة البيانات والمعلومات عن كل جوانب الحدث. يكاد يكون من المستحيل وجود هذه الحالة من الناحية العملية.

حالة عملية (1): كيف تتصرف وأنت تتفاعل مع حدث فى ظل حالة ما بين التأكد وعدم التأكد (رقم 3) ؟؟؟ وأنت مغمض العينين يجب أن تختار المخاطرة المحسوبة.

ملاحظة: تقترن المخاطرة المحسوبة بنظرية الاحتمالات. فهي حالة تجمع ما بين التوقع وعدم التوقع.

القواعد الأساسية لنظرية المخاطرة المحسوبة

1- التصرف المرن:

أ- زيادة عدد الخيارات (البدائل) المتاحة.

ب- القدرة على الخروج من أي مأزق مفاجئ وتغيير المسار عند اكتشاف الأخطار.

2- الحنكة والذكاء: ينبغي على القائد التمتع بقدر من الذكاء لأن تصرفاته تتقاطع وتتداخل مع تصرفات الآخرين فالقائد الذي يستطيع توقع أداء الآخرين المنافسين يستطيع أن يوجه جهوده الوجهة السليمة.

3- التكييف:

أ- قرر شيئا واحدا في نفس الوقت.

ب- لا تتردد فى طلب المساعدة من ذوى الخبرة.

ج- النظر فى التفاصيل الرئيسة أولا (غياب المعلومات غالبا ما يكون في الجوانب الفرعية الدقيقة.

حالة عملية (2): كيف تتصرف وأنت تتفاعل مع حدث في ظل حالة شبه التأكد (رقم 2)؟؟؟

الحل هو توظيف الحدث.

مرحلة التخطيط:
النوايا الحسنة وحدها لا تكفى

العناصر المطلوبة لخطة عمل جيدة:

1 توصيف الحدث توصيفا دقيقا.

2 استدعاء الرصيد السابق لأدائنا وأداء "الآخر" فى التفاعل مع نفس الحدث وتحديد أوجه الاستفادة.

3 الرجوع قليلا إلى الوراء.

4 تحديد المطلوب إنجازه (المستهدف) من التفاعل مع هذا الحدث بدقة.

5 الاستعداد وحده لا يكفى... لا بد من التهديف.

6 تعريف حالات النجاح والفشل فى توظيف الحدث.

7 تحديد العلاقة بين كل من السياسات والمشروعات من ناحية والحدث من ناحية أخرى.

8 دراسة قدرات "الآخر" الحالية والمتوقعة لتوظيف نفس الحدث ودرجة الحساسية لديه.

9 تقدير المخاطرة الأساسية في التفاعل مع هذا الحدث.

10 افتراض إمكانية الاستمرار والتراجع في التفاعل مع الحدث.

11 تخطيط الموارد البشرية والمادية اللازمة.

12 وضع خطط التنفيذ وتحديد الضوابط والمراحل وما يجب إنجازه في كل مرحلة.

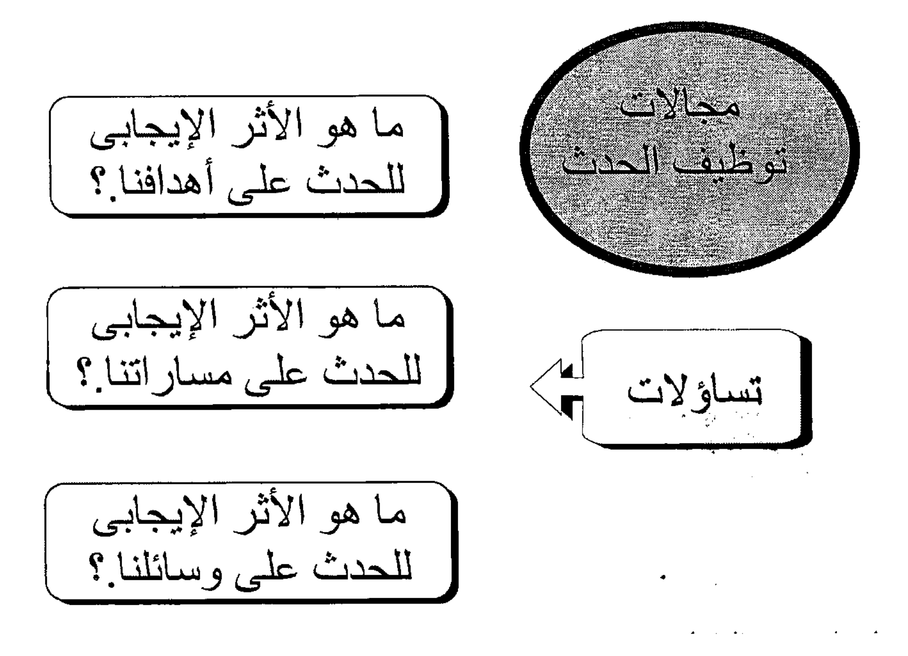
تذكر وأنت تتعامل مع الأحداث:

- أن لا تتصارع مع الأحداث ولكن تعامل معها.
- أن السفينة التي تبحر بلا هدف لن تنال ثقة راكبيها ولا طاقمها.

- اجعل أهدافك من التفاعل من الأحداث قابلة للقياس وواقعية ومليئة بالتحدي ولا ترض بغير القمم بديلاً.

مرحلة توظيف الحدث

وهي مرحلة تحويل الأقوال إلى أفعال، فلا يكفي أن يعرف المرء ما ينبغي أن يفعله عند التفاعل مع الأحداث بل يجب أن يفعله كما ينبغي، كما أننا سنأخذ من الحدث أكثر مما نعطي عندما نعطي الحدث أكثر مما نأخذ.



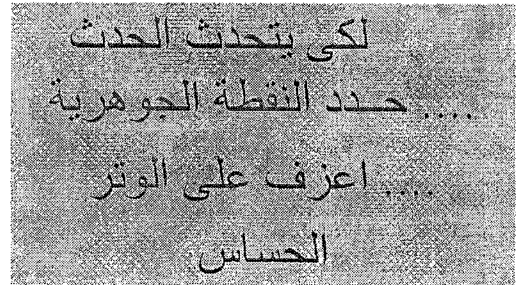
على المستوى الداخلي:

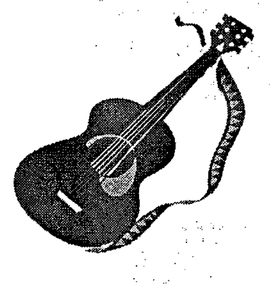
- رفع الروح المعنوية ومعالجة الاسترخاء
- زيادة درجة الوعي بالأحداث
- التدريب على بعض المهارات
- وضوح الرؤية.

على المستوى الخارجي:

- التعاطف الجماهيري (درجة الوعي الجماهيري- القضايا المنشغل بها)
- تحسين أو تثبيت الصورة الذهنية عن الحركة أو المؤسسة
- ارتباط المجتمع بالحركة أو المؤسسة
- التميز عن الآخر "
- تحريك الخطوط الحمراء
- قبول المجتمع لمشروع المؤسسة أو الحركة
- تحقيق المشروعية الواقعية.







مرحلة التقييم: أهداف ووسائل:

هل كان بالإمكان أبدع مما كان؟ الذين لا يدرسون الماضي يعيدون تكراره بنفس الأخطاء... والتعلم هو سلسلة من العمليات المتصلة لاكتساب الخبرة وبعد النظر في التعامل مع المستقبل.

أهداف المرحلة:

1- استخلاص الدروس المستفادة باسترجاع ودراسة تفاصيل التعامل مع الحدث وذلك من جانبنا ومن جانب "الآخرين".

2- تحسين القدرات المستقبلية في مجال التفاعل مع الأحداث.

وسائلها:

المقارنة بين العوامل التي أدت إلى تحسن الأداء في مجال التفاعل مع الأحداث مقارنة بالعوامل التي شابها الضعف والتي تدل على قصور في الأداء.

معايير تقييم التفاعل مع الأحداث:

1- هل عكس التفاعل مع الحدث فهما دقيقا له؟

2- هل عكس التفاعل مع الحدث انسجاما مع أهدافنا وسياستنا؟

3- ما هي درجة وضوح أهداف التفاعل مع الحدث لدى كافة المتعاملين معه؟

4-إلى أي مدى انطلق التفاعل مع الحدث من مراعاة الأوضاع الداخلية للمؤسسة؟

5- ما هي درجة الاستفادة من الرصيد السابق في التفاعل مع نفس الحدث أو مع أحداث أخرى؟

6- ما هي درجة نمطية التفاعل مع الحدث وما نسبة الابتكار فيه؟

7- هل تم التعامل مع الجوانب المتميزة للحدث؟

8-هل انطلق التفاعل مع الحدث من مراعاة ظروف البيئة الخارجية؟

9-ما هي نسبة النجاح في توظيف الحدث؟

10- هل توصلنا للوتر الحساس في هذا الحدث؟

الأحداث الطارئة

قواعد التعامل مع الأحداث فائقة السرعة:

قواعد خاصة بالافراد:

1- التقدير الدقيق للحدث بعيداً عن العواطف والانفعالات.

2- السرعة في اتخاذ القرار باتخاذ إجراءات حاسمة.

3- الدخول إلى قلب الحدث مباشرة (خذ المبادرة- خض المغامرة).

4- تحويل عنصر الوقت إلى مصدر للتنافس (عش هاجس السرعة).

5- استخدم حكمك الصائب حيث لا وقت لمناقشة الآراء المختلفة والمتعددة والنيران مندلعة وخارج السيطرة.

المعوقات:

كم من مرة يا ترى أودعنا "نسورنا" بقصد أو بغير قصد خلف القضبان؟؟

كم من مرة هتفنا بهم التفاعل... التفاعل... ونحن في الواقع نقول لهم:

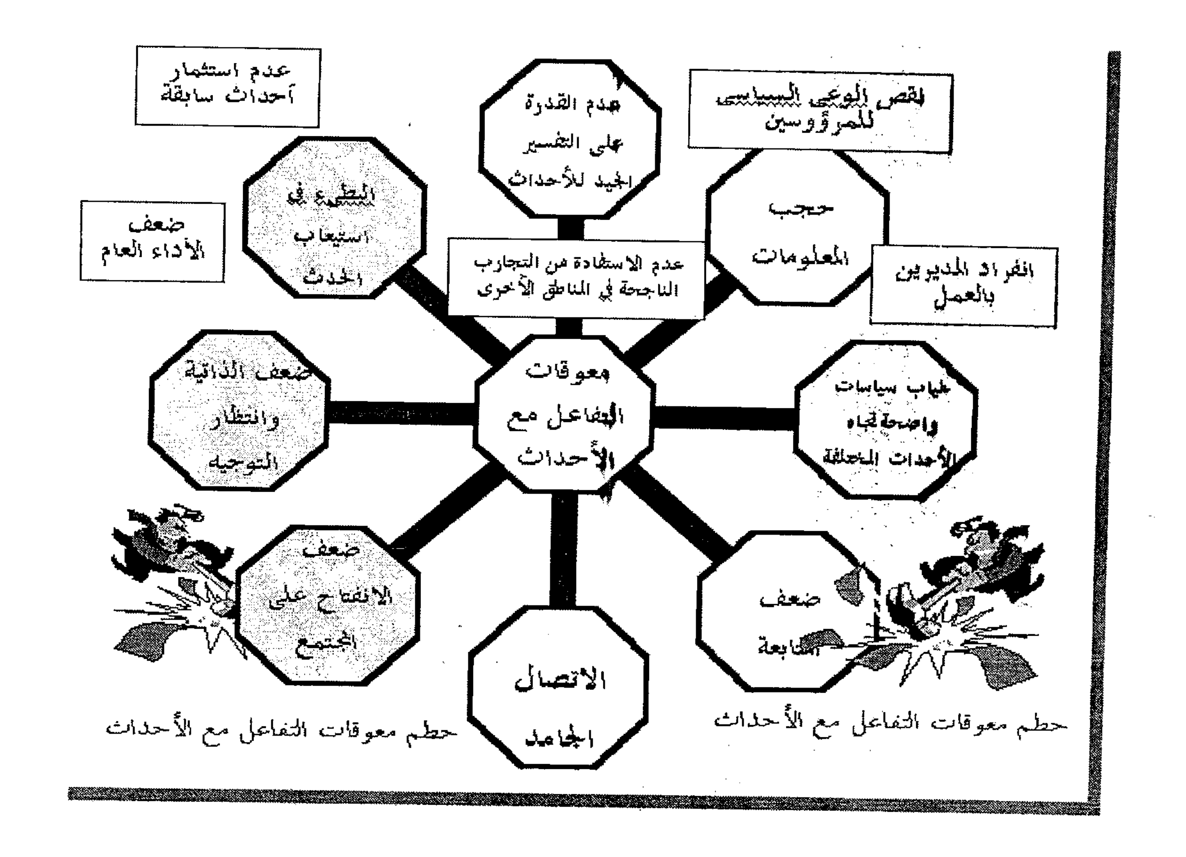
- **لا تقدموا على أي خطوة قبل الاستئذان.**
- **لا تحيدوا عن الخطة الموضوعة.**
- **لا نريد الوقوع فى مشاكل.**

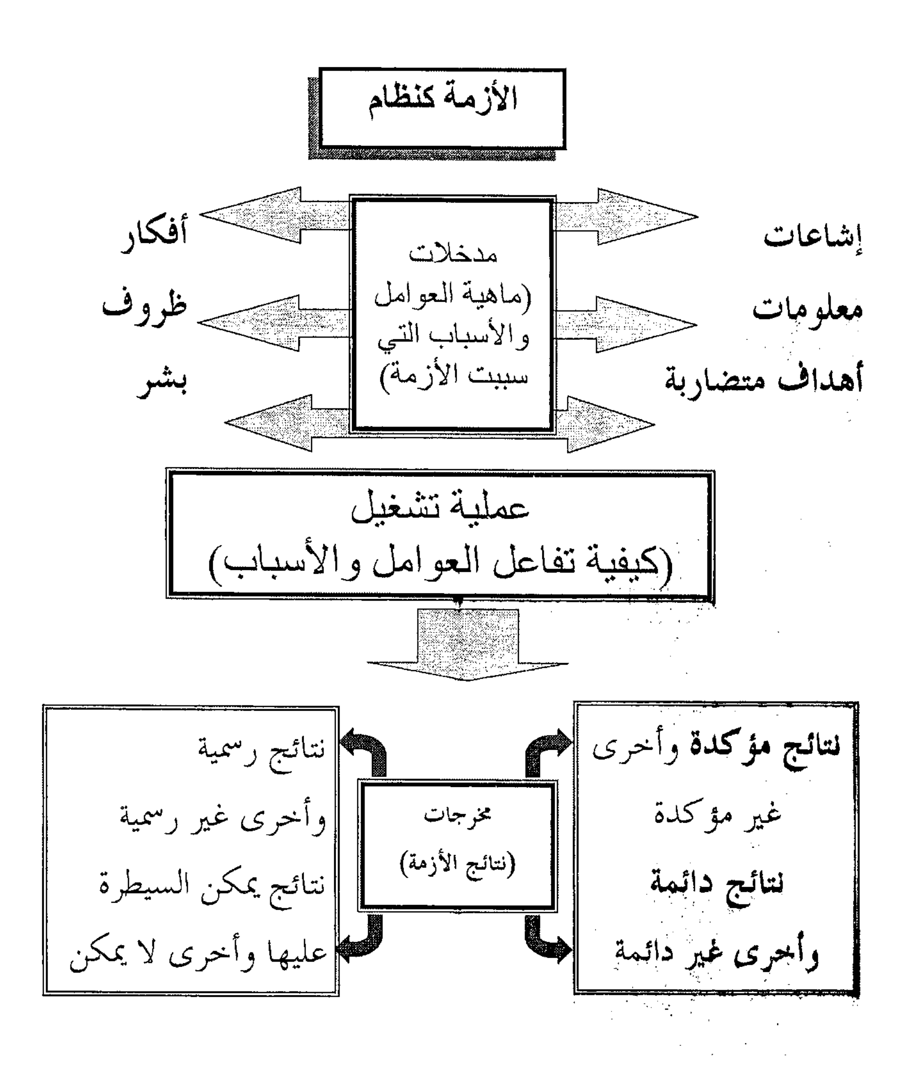
وقديما قالوا: الحرية (التفاعل مع الأحداث) = أن يطير النسر في أي وقت شاء (في حدود (ولا داعي للخيوط الحريرية التي تكبل النسر).

ويتطلب تحويل الوحدات التنفيذية التي لا تستطيع التفاعل مع الأحداث إلى وحدات متفاعلة يحتاج ذلك إلى إزالة الصدإ المتراكم على هيكلها كالصدإ العالق بجسم سفينة قديمة وكثيرا ما يحدث أن تعيد الوحدات طلاء هياكلها مرات عديدة بدون إزالة طبقات الصدإ القديمة.

والمطلوب إزالة كل آثار الصدإ والاكتفاء بطلاء واحد على أساس نظيف.

التفاعل أو عدم التفاعل مع الأحداث إفراز منطقي لكم من التوجهات والسياسات والممارسات الإيجابية أو السلبية.


معوقات التفاعل مع الأحداث
عدم القدرة على التفسير الجيد للأحداث
حجب المعلومات
غياب سياسات واضحة تجاه الأحداث المختلفة
ضعف المتابعة
الاتصال الجامد
ضعف الانفتاح على المجتمع
ضعف الذاتية وانتظار التوجيه
البطء في استيعاب الحدث
عدم الاستفادة من التجارب الناجحة في المناطق الأخرى
نقص الوعي السياسي للمرؤوسين
انفراد المديرين بالعمل
عدم استثمار أحداث سابقة
ضعف الأداء العام
حطم معوقات التفاعل مع الأحداث
حطم معوقات التفاعل مع الأحداث


الأزمة كنظام
إشاعات
معلومات
أهداف متضاربة
مدخلات
(ماهية العوامل
والأسباب التي
سببت الأزمة)
أفكار
ظروف
بشر
عملية تشغيل
(كيفية تفاعل العوامل والأسباب)
نتائج مؤكدة وأخرى
غير مؤكدة
نتائج دائمة
وأخرى غير دائمة
مخرجات
(نتائج الأزمة)
نتائج رسمية
وأخرى غير رسمية
نتائج يمكن السيطرة
عليها وأخرى لا يمكن

مهارات لإنجاح استراتيجية النضالية

1. مهارة الاستماع:

- السمع هو حاسة السمع لدى الإنسان.
- الاستماع هو الجهد الذي يبذله الإنسان للإصغاء.
- (إن الله خلقنا بفم واحد، وأذنين لنكثر من الإصغاء).
- إنها مهارة قابلة للتحسين والتطوير.
- المستمع الجيد من الطلاب يحصل على أعلى الدرجات.
- مهارة الاستماع أكثر ضرورة للتفوق العلمي.

أهمية الاستماع:

يقضي الناس نشاطهم الاتصالي:

(5، 52) ٪ في الاستماع

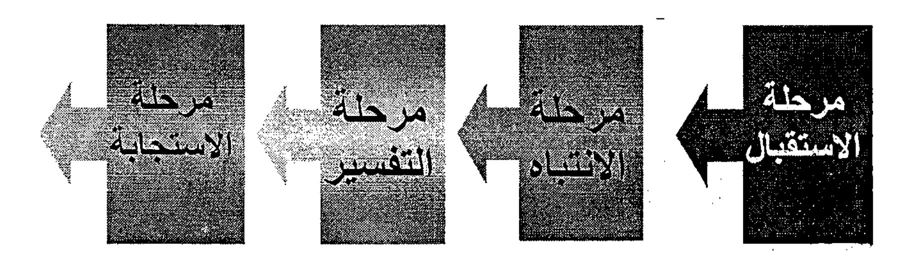
(3، 17) ٪ في القراءة

(3، 16) ٪ في التحدث

(9، 13) ٪ في الكتابة

مراحل عملية الاستماع:

تمر عملية الاستماع بالمراحل التالية:



وصايا للاستماع الجيد:

- (أفرغت يا أبا الوليد؟ الآن اسمع مني...)
- عدم الانشغال بأمر آخر غير الاستماع.
- التركيز على الفكرة الأساسية.
- تعاطف وأظهر مشاعرك بصدق.
- استخدام لغة الجسم المعبرة.
- حاول تقمص مشاعره وأحاسيسه.
- تجنب اتخاذ الأحكام المسبقة على الكلام.

قال عطاء ابن أبي رباح: (إن الرجل ليحدثني بالحديث، فأنصت إليه كأني لم أسمعه، وقد سمعته قبل أن يولد).

2. مهارة التحدث:

- التحدث وسيلة الاتصال الأولي مع الآخرين.
- تزداد أهمية التحدث كلما ازداد حجم المسؤولية.
- تزاد الحاجة إلى التحدث بازدياد الحاجة إلى الإقناع.
- ترتبط فاعليته بمدى تقبل الآخرين واستيعابهم.

أساليب تنمية مهارة التحدث:

1- وضوح ودقة هدف الحديث.
2- التعرف على طبيعة ونوعية المستمعين.
3- التحكم والتمكن من استخدام نبرات الصوت.
4- التخلص من اللزمات اللفظية والحركية.
5- التمكن من سلامة النطق والاتصال اللفظي.
6- الاستعداد والتدريب على إلقاء الحديث.

7- التجنب للمؤثرات السلبية على الحديث.
8- التغلب على المخاوف التي تسبق الحديث.
9- اللباقة في التعامل مع المعارض للحديث.
10- تدعيم الحديث بالحقائق والبراهين والأمثلة.

مهارة الحـــوار

- الحوار يعني لغة: المراجعة في الكلام.
- التحاور أي التجاوب هو ضرب من الأدب الرفيع.
- عبارة عن تفكير جمعي تعاوني للوصول إلى قرار.
- الحوار يعني المناقشة والمباحثة.
- أحد أنواع الجدال الممدوح بالقرآن الكريم.

أهمية الحوار:

- تزداد الحاجة إليه كلما توسع العمل.
- وسيلة مهمة لتبادل الرأي وتعميق الاجتهاد.
- يساعد في تنضيج الآراء وتلاقح الأفكار.
- يوسع دائرة المشاركة والتعبير عن الرأي.
- يعتبر الحوار مظهراً من مظاهر الشورى.
- يعتبر الحوار ملجأ الحكماء ومنهج العقلاء.

آداب الحوار:

- الترفق في عرض الأفكار (ما كان الرفق في شيء...)
- ضرورة ترك تجريح الأشخاص إلا لمصلحة بيّنة.
- احترام الأفاضل وإنزال الناس منازلهم.

- حسن اختيار الألفاظ (ولو كنت فظاً غليظ القلب...)
- تقدير الآراء لذاتها لا لأصحابها.
- عدم الاستبداد بوقت الحوار واتساع الصدر.
- عدم المجادلة في الحق أو المخاصمة في الباطل.
- ضرورة فهم المسألة وعدم التسرع في الاستنباط.
- الهدوء وعدم رفع الصوت (واغضض...)
- عدم الإسراف في الشرح الممل أو الاختصار الغامض.
- عدم جعل الحوار فرصة للدفاع عن مواقف شخصية.
- قبول النتائج التي يتوصل إليها دون مماراة وجدل.

مهـــارة التعامل

شروط التعامل مع الآخرين:

- تفهم الاحتياجات الإنسانية (التقدير، الحب، العلم...)
- تفهم القدرات الاستيعابية (الاستماع، المشاهدة، الفعل...)
- تفهم الأنماط الشخصية (تأملي، عقلاني، تنفيذي، تجريبي...)
- تفهم الطبائع النفسية (الراصد، التاجر، الموفق، الرتيب...)

أخلاقيات التعامل مع الآخرين:

1- إفشاء السلام
2- البشاشة والتبسم
3- المناداة بأحب الأسماء
4- إظهار المحبة
5- المصافحة عند اللقاء

6- تقديم الهدايا
7- حسن الخلق
8- الترفق والتراحم
9- الشكر والتقدير
10- حسن الاستماع والتخاطب
11- إظهار الحرص على المقابل (حريص عليكم...)
12- إظهار الرحمة مع الآخرين (فبما رحمة...)
13- طلب التوفيق من الله (رب اشرح...)
14- اجتناب التعالي والسخرية (لا يسخر قوم...)
15- اجتناب لغة التلاوم والعتاب (اجلس بنا نتغافر...)

مهارة العقلية الاستراتيجية

يقول سون تسو في كتابه فن الاستراتيجية[1]، إنه قبل التفكير في مواجهة ما، يجب حساب وتحليل العوامل المؤثرة في الوضع، مثل نقاط القوة والضعف للوضع الذاتي، وعلاقة الأهداف بأهداف المجتمع ككل، وحدة الجرأة والإصرار الذاتي، وسمو الأهداف وصلاحيتها، كل ذلك يجب تقويمه بدقة، ويصف سون تسو استخدام التضليل التكتيكي كاستراتيجية ناجحة يستخدمها القادة البارعون لتحقيق مكاسب هامة، والتضليل التكتيكي هو القدرة على خلق صورة مضللة لدى الخصم عن وضعنا أو خططنا، وهو عنصر أساسي في الاستراتيجية الذكية.

1- سون تسو، فن الاستراتيجية في الإدارة والسياسة والحرب، ترجمة خالد فهد الخاطر، (مطبوعة).

الاعتبارات السبعة:

عندما تريد تقييم الصراع انظر إلى جميع الجوانب وادرس الحقائق والأسئلة التالية:

1. من يمتلك القوة العقائدية؟
2. من يمتلك القيادة القديرة؟
3. من أكثر استفادة من الظرف والسنن؟
4. من يمتلك ميزة الانضباط؟
5. من يمتلك الأفراد المدربين؟
6. من يمتلك الاستراتيجية الأفضل؟
7. من يمتلك نظام مكافآت وعقوبات أفضل؟

من خلال هذه الاعتبارات السبعة فقط أستطيع أن أتنبأ بالنصر أو الهزيمة.

ويقول: إن القيادة التي تدخل هذه الاعتبارات في حساباتها ستنتصر فتمسكوا بها، والقيادة التي لا تدخل هذه الاعتبارات في حسابها ستنهزم فاعزلوها

الحرب خدعة:

الاستراتيجيون يستخدمون الخداع:

- عند القدرة يبدو عليهم العجز.
- وعند العمل يبدو عليهم السكون.
- وعند القرب يبدو عليهم البعد.
- وعند البعد يبدو عليهم القرب.
- وعند الهجوم على هدف قريب يبدو عليهم السعي لهدف بعيد، وعند الهجوم على هدف بعيد يبدو عليهم السعي لهدف قريب.

فهم ينسابون من خلال الفرص ويفرضون سيطرتهم من خلال الفوضى.

- فعند الجاهزية يبدو عليهم الاستعداد.
- وعند التقدم تبدو عليهم المناورة.
- وعند الغضب يبدو عليهم الاستسلام.
- عند الاستعلاء يبدو عليهم التواضع.
- وعند الراحة يبدو عليهم التعب.
- وعند الوحدة تبدو عليهم الفرقة.
- يهجمون عندما لا يكون الخصم مستعدا.
- ويظهرون حيث لا يتوقعهم أحد.

التنبؤ بالنصر:

المنتصرون يدرسون في مركز قيادتهم عددا أكبر من العوامل قبل الدخول في الصراع المنهزمون يدرسون في مركز قيادتهم عددا قليلا من العوامل قبل الدخول في الصراع.

الحسابات الكثيرة تجلب النصر والحسابات القليلة تجلب الهزيمة فكيف إذا بمن لا يحسب أبدا.

أساسيات النصر:

هنالك خمسة طرق لمعرفة النصر:

1. الذين يعرفون متى يحاربون ومتى لا يحاربون سينتصرون.
2. الذين يعرفون كيف يستفيدون من الكثرة والقلة سينتصرون.
3. الذين يتفقون على الأهداف الكبرى والصغرى سينتصرون.
4. الذين يعدون العدة وينتظرون لحظة عدم استعداد الخصم سينتصرون.
5. الذين يقودون بدون تدخل في قراراتهم من الحاكم سينتصرون.

عندما تعرف نفسك وتعرف خصمك: لا تخش نتيجة مائة معركة.

عندما تعرف نفسك وتجهل خصمك: فعند كل نصر تحققه تلحق بك هزيمة في المقابل.

عندما تجهل نفسك وتجهل خصمك: ستخسر في كل معركة.

الفنون الاستراتيجية الخمسة:

القائد القدير هو الذي ينمي العقيدة ويلتزم بالمنهج والانضباط وبذلك يتحقق له النجاح، فالفنون الاستراتيجية هي:

- القياس
- التقدير
- التحليل
- الموازنة
- النصر

1. الظرف ينتج عنه القياس.
2. القياس ينتج عنه تقدير التكاليف.
3. التقدير ينتج عنه تحليل القوى.
4. التحليل ينتج عنه حسابات الاحتمالات.
5. الحسابات ينتج عنها خطة النصر.

الاستراتيجية الناجحة كالذي يرجح كفة جبل على كفة حجر، والاستراتيجية الخاسرة كالذي يواجه جبلا بحجر.

أيها القائد:

- كن كالرياح في سرعتها
- وكالغابات في اكتنازها
- وكالنيران في ضراوتها
- وكالجبال في ثباتها

- وكالليل في ظلمته
- كالصواعق في انقضاضها.

العيوب الخمسة في القائد:

1. المتهورون جدا يمكن تدميرهم.
2. الحذرون جدا يمكن التمكن منهم.
3. السريعو الغضب يمكن جعلهم موقعا للسخرية.
4. الحساسون جدا يمكن إذلالهم.
5. العاطفيون يمكن مضايقتهم.

أيها القائد:

- في الظرف الهادئ لا تتحد.
- وفي الظرف القلق لا تتراخ.
- وفي الظرف التفاوضي لا تتوقف عن التقدم.
- وفي الظرف التنافسي لا تهاجم.
- وفي الظرف المتقاطع تفاوض مع الحلفاء.
- وفي الظرف الجاد حز على التفوق.
- وفي الظرف المعوق تقدم.
- وفي الظرف المحاصر خطط.
- وفي الظرف اليائس تحد.

الذين أطلق عليهم القدماء قيادات بارعون في تنفيذ الاستراتيجية هم:

- يعرفون كيف يقطعون الاتصال بين الأجزاء.
- وكيف يمنعون الكثرة من مساعدة القلة.
- كيف يمنعون أصحاب الخبرة من إنقاذ الذين يفتقدون الخبرة.
- ويتقدمون عندما يتحدون، ويتوقفون عندما لا يتحدون.

مهارة القراءة السريعة

في زمن أصبحت فيه القراءة السريعة ضرورة لملاحقة ما تقذف به ثورة المعلومات ومناهج التعليم، فإنك تستطيع أن تزيد من سرعة قراءتك ببذل القليل من الجهد. أثبتت الأبحاث أن الشخص العادي يستطيع أن يحدث تحسنا يتراوح فيما بين 50 إلى 100 ٪ في سرعة القراءة دون أن يفقد شيئاً من فهمه للمعاني التي يقوم بقراءتها[1].

وثبت أيضا عدم صحة الاعتقاد الشائع بأن من يقرأ ببطء يفهم أكثر بل على العكس يتفوق سريع القراءة عليه بأنه يحصل على أفكار ومعلومات أكثر ممن يقرأ ببطء في وقت محدد.

1- احرص على إجبار نفسك على القراءة السريعة:

ابذل مجهودا كبيرا في هذا الصدد.

ابدأ من اليوم في إجبار نفسك على القراءة بسرعة.

لن تفهم كل ما تقرأ ولكن بالتمرين اليومي ستتعلم بسرعة أن تلم الأفكار بطريقة خاطفة.

ستحدث أخطاء وهذا شيء طبيعي في البداية فلا تهتم بالأخطاء واستمر في التمرين.

اقرأ الموضوع نفسه بسرعة مرتين أو ثلاثا إذا لزم الأمر للحصول على الأفكار الرئيسة وبعد ذلك.اقرأ بعناية للوقوف على التفاصيل.

[1] - دورة تدريبية، منتدى الحصن النفسي، مركز المدينة المنورة للعلوم الهندسية mmsec.com.

2- احرص على قراءة العبارات والجمل ولا تقرأ الكلمات:

- من الخطإ أن تقرأ مثل الكثير من الناس الذين ينطقون بالكلمات بتحريك شفاههم ويجب عليك ألا تحرك فمك أثناء القراءة.
- تعلم أن تقفز من عبارة إلى أخرى ومن جملة إلى جملة وثق أن الجمل التالية ستوضح النقاط التي تظل غامضة.
- اقرأ للوقوف على المعاني لا الكلمات.
- توقع أثناء القراءة ما يريد المؤلف أن يقوله وبعد ذلك الق لمحة سريعة للمكتوب بالدرجة التي تكفي فقط لكي ترى ما إذا كنت مصيبا وعدّل توقعاتك متى كان ذلك ضروريا.

3- تعلم أن تقفز في القراءة وضع علامات على النقاط البارزة.

4- اختبر نفسك من حين لآخر لترى مدى ما أحرزته من تقدم في سرعة القراءة وذلك بحساب عدد الكلمات التي تستطيع قراءتها في الدقيقة الواحدة.

كيف تصبح قارئا سريعا؟

بالتدريب وحده تصبح قارئا سريعا. تذكر أن الناس لم يولدوا مع موهبة القراءة السريعة. وبالعودة قليلا إلى أيام الدراسة الابتدائية يوقن المرء صدق ذلك القول. فلا يمكن للعداء الرياضي أو لاعب الكرة الحصول على اللياقة البدنية العالية إلا بالتدريب. فلنر كيف يمكن أن ندرب أنفسنا على ذلك.

تمرين القراءة السريعة:

أحضر ساعة منبه وورق ملاحظات وقلم رصاص، وكتابا أو مقالا تود قراءته. يفضل أن تكون المادة المقروءة ممتعة وسهلة للقارئ.

قياس سرعة القراءة:

قبل قياس سرعة القراءة يجب تحديد وقت القراءة بالدقائق والالتزام بالتوقف فور انتهائه، مثال: إذا انتهت الفترة المحددة (عشرة دقائق مثلاً) توقف عن القراءة فوراً. يفضل استخدام منبه صوتي لمعرفة موعد الانتهاء تجنبا لربكة النظر المتكرر للساعة.

معادلة سرعة القراءة:

يستطيع الفرد تحديد سرعة قراءته ومن ثمة العمل على زيادتها باتباع خطوات التمرين:

سرعة القراءة (أو عدد الكلمات في الدقيقة الواحدة) = (عدد الكلمات في السطر الواحد) ضرب (عدد الأسطر في الصفحة) ضرب (عدد الصفحات المقروءة) مقسومة على (الوقت المستغرق في القراءة).

إن المعدل الطبيعي لسرعة القراءة، للذين تعتبر المادة المقروءة لغتهم الأصلية، هو 200 إلى 300 كلمة في الدقيقة. فإذا كنت أقل قليلا من المعدل فأنت ضمن حدود المعدل. أما إذا اجتزت السرعة أعلاه فأنت أعلى من المعدل الطبيعي وبإمكانك مضاعفة القراءة بالتمرين المستمر. واعلم بأنك قد تكون أسرع قارئ ليس فقط في بيتك أو منطقتك وإنما في البلد الذي تعيش فيه، بالتدريب المستمر، فسرعة القراءة ليس لها حدود.

التصفح السريع Skimming: يعتبر التصفح السريع قبل الدخول للجزء المقرر قراءته أحد أهم الطرق لأخذ فكرة مختصرة عن الموضوع. وذلك يكون بقراءة العناوين الرئيسية والفرعية بالإضافة إلى تمرير العين سريعا على الأسطر، أو بدايات ونهايات الفقرات ومحاولة قراءة الأمثلة التي عادة ما توجد في وسط

الفقرات لفهم فكرة الفقرة. ذلك من شأنه أن يساهم في جعل القارئ أكثر راحة وسرعة عند البدء بالقراءة لكونه ألف الموضوع. الآن ابدأ بالقراءة مع تشغيل المنبه وتوقف عند الوقت الذي حددته لقياس السرعة.

حركة العين: في الخطوة التالية ضاعف سرعتك من خلال النظر إلى السطر على أنه (مجموعة) من الكلمات محاولا فهم معناها. مثال: انظر إلى السطر الواحد على أنه مقسم إلى 3 أو 4 مجموعات من الكلمات المتلاصقة، ومن خلال النظر السريع إليها (أي المجموعات) حاول فهم معناها. احذر توقف العين طويلا على الكلمة وهو ما يسمى بالمعاينة أو (Fixation) فهو أمر يجب التخلص منه. لقد أثبتت دراسات كثيرة أن العين غير المدربة تتوقف بمعدل ست إلى ثماني مرات على السطر الواحد وهو بلا شك تأخير للقارئ.

أما الرجوع المتكرر للتأكد من كلمة معينة (Regression)، والذي يكون بسبب عدم تأكد القارئ من كلمة معينة أو إحساسه بأنه قد فاته شيء مهم فيمكن التغلب عليه بتذكر أن ما قد فاته لا يخرج عن احتمالين وهما (معلومة مهمة أو أخرى غير مهمة) فان كانت مهمة فسيعيدها الكاتب بالتأكيد وإن كانت غير ذلك فلم يفت القارئ شيء يذكر. فأنت عندما تشاهد فيلما في السينما ويفوتك شيء مهم يستحيل أن تطلب من المختصين إعادة اللقطة! ولكنك تواصل على أمل أن يأتي باقي الفيلم بما تريد معرفته. الآن واصل القراءة من حيث انتهيت بالمدة (نفسها) التي حددتها لنفسك مسبقا، وليس نتيجة المعادلة. اطلب من زميلك أو قريبك متابعة طريقة انتقال عينيك السريعة على السطر.

تجنب لفظ الكلمات: وهي لفظ الكلمات ذهنياً أثناء القراءة. وتعد هذه العادة أسوأ عادات بطيئي القراءة وغالبيتهم يمارسونها ولكن بدرجات متفاوتة. إن ملازمة هذه العادة من شأنه أن يزيد الأمر سوءًا، ولكن اللجوء إليها في بعض

الأحيان لقراءة بعض الكلمات الصعبة أمرٌ لا بأس به. أما طريقة لفظ الكلمات "شفاهة" بتحريك الشفاه فهي أسوء مراحل هذه العادة. وربما يكون السبب في ذلك هو أن بداية تعلم الكلمات في المراحل الدراسية الأولى كان بنطقها بصوت عال بتشجيع من المدرسين وتصحخب هذه العادة الكثير من الناس حتى سن متأخرة من العمر. مثال ذلك، عندما يقرأ طالب في الثانوية أو الجامعة درساً للفصل فإنه يقرأه بصوتٍ عالٍ مما يزيد من تعزيز هذه العادة السلبية لدى الأشخاص. وفي كلا الحالتين تعد هذه العادة عائقاً أساسياً يحول دون الإسراع في القراءة. وللتغلب على هذه العادة ولمضاعفة سرعة القراءة يجب النظر إلى الكلمات على أنها رموز بديهية تفهم بالنظر وليس بالقراءة (ذهنية كانت أو شفهية). مثال: عند النظر إلى القمر، الشمس، السيارة، المنزل، أو حتى وجوه أفراد أسرتك لا تحتاج إلى أن تنطقها، الأمر الذي يختلف عند البعض أثناء القراءة وذلك يفسر بأن الممارسة هي من جاءت بهذه العادة السلبية، ويمكننا التغلب عليها من خلال ممارسة عادة النظر إلى الكلمات دون النطق بها. تخيل وأنت تقرأ أنك تنظر إلى فيلم أو مسلسل تلفزيوني لا تحتاج إلى تحريك الشفاه أو اللفظ الذهني للمشاهد (الكلمات في حالة القراءة). وبعبارة أخرى حول الكلمات إلى صور أثناء المرور السريع عليها. تقول "كاثرن ردواي" في كتابها كيف تصبح قارئا سريعاً: "عندما تجتمع القراءة والتصور أو التخيل Visualization تصبح السرعة والإدراك أعلى". وتضيف المؤلفة بخصوص التدريب على زيادة الإدراك أنه: عندما ترى كلمة منزل تخيلها في عقلك منزلاً، فمع مرور الوقت وإتقانك التخيل الجيد سوف تصبح الكلمات مصورة و ملونة." الآن واصل القراءة بالمدة المحددة سلفا مع تطبيق جميع ما قرأت.

لقد أثبت علماء النفس أن الاحتفاظ بالمعلومات يقل بمرور الوقت، خصوصاً إذا لم تستخدم المعلومات أو تراجع. لذا يجب أن يراجع الشخص

المعلومات بين فترة وأخرى أو يحاول استخدامها. على سبيل المثال، يمكن للقارئ مناقشة الكتاب أو المقال مع صديق له لتثبيت المعلومات.

إن التدريب (اليومي) على القراءة السريعة بتطبيق ما سلف يحقق نتائج مذهلة. وأود التوضيح بأن بداية التطبيق العملي قد تكون مملة للبعض ولكنها سرعان ما ستشعرك بمتعة لم تألفها من قبل عندما تبدأ بالتهام الصفحات تلو الأخرى دون أن تشعر![1]

[1]- نفس المرجع السابق.

الخاتمة:

لقد أشفق الأولون على أهل الفتن، وحذروهم سوء العاقبة فكان حذيفة بن اليمان رضي الله عنه يقول:

(إياكم والفتن، لا يشخص إليها أحد، فوالله ما شخص إليها أحد إلا نسفته، كما ينسف السيل الدمن).

ويصور لنا قتادة بن دعامة رحمه الله، وهو أحد أجلاء التابعين، تجربة فتنة رآها، ويضع أمامنا نتائجها التي رآها فيقول:

(قد رأينا والله أقوامًا يسرعون إلى الفتن وينزعون فيها، وأمسك أقوام عن ذلك هيبة لله ومخافة منه، فلما انكشفت: إذا الذين أمسكوا أطيب نفسا، وأثلج صدورًا، وأخف ظهورًا من الذين أسرعوا إليها وينزعون فيها، وصارت أعمال أولئك حزازات على قلوبهم كلما ذكروها. وايم الله! لو أن الناس كانوا يعرفون منها إذ أقبلت ما عرفوا منها إذ أدبرت لعقل فيها جيل من الناس كثير).

ووالله قد رأينا ما رأى قتادة، وعرفنا بعض من شارك في الفتن تكاد أجسادهم تتهدم وقلوبهم تتقطع كلما ذكروا ما كانوا فيه من العز، وما آل إليه أمرهم بعد من الانغمار.

ولا ينجو من هذه الفتن إلا السيد، صاحب أخلاق السيادة، الحليم، المحب للتوبة، فإنه قد ينخدع بزخارف يصوغها المفتتن، لكنه سرعان ما يرجع إلى رشده وصوابه، وهو ثالث الثلاثة الذين عددهم حذيفة حين قال:

(إن الفتنة وكلت بثلاثة:

بالحاد النحرير الذي لا يرتفع له شيء إلا قمعه بالسيف.

وبالخطيب الذي يدعو إليها.

وبالسيد.

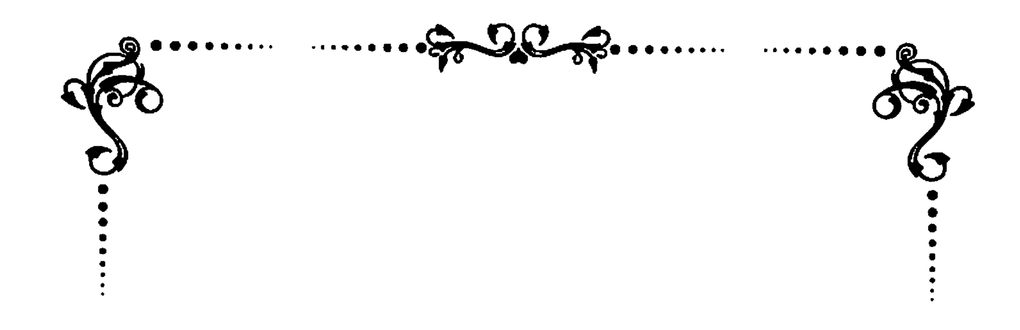
فأما هذان فتبطحهما لوجوههما.

وأما السيد فتبحثه، حتى تبلو ما عنده).

فالحاد النحر ير ليس له رجاء النجاة.

والخطيب فيها صاحب سيف أيضًا، كما قال ابن عباس في بعض ما يؤثر عنه: إن سيفه لسانه، فهو مع صاحبه.

إلا السيد، فإن الفتنة هي امتحان له، فإن كانت أخلاق السيادة فيه أكثر ميزها، وإن كانت أقل جرفته، فقد يفيق في أولها، وقد يفيق في وسطها، وقد يفيق وهي على مشارف نهايتها، بمقدار ما فيه من النبل، وبمقدار ما عنده من العلم، فإن (الفتنة إذا أقبلت: عرفها كل عالم، وإذا أدبرت: عرفها كل جاهل) كما يقول الحسن البصري سيد التابعين. فإن كان علمه كاملا: أبصرها قبل مجيئها ورأى نتائجها وكأنه يهتك حجب الغيب، ويتأخر وقت إدراكه لضررها كلما كان علمه أقل، فإذا انتهت فلا فضل له في رؤية تشتت دعاتها وإفلاسهم، فأنها تكون مشاهدة بصر لا إدراك قلب، يتمكن منها من لا عقل له أيضًا، وعندئذ لن تنقذه إلا توبة نصوح جازمة تبعده عن فتنة مقبلة أخرى، يتزود لها بالتقوى، ويأتم بالدليل، ويسلك الصراط، ويدور بعدها ضمن نظام الجماعة وخطتها وأعرافها، وبرامجها ويناضل بقوة من أجل تحقيق أهداف المشروع غير ملتفت لمروجي الإشاعات والأراجيف والانشغال بتفاصيل عيوب الناس. هذه الطريقة والمنهجية المقترحة لمواجهة حملات الإشاعة والدعاية اصطلحنا عليها بمفردة 'النضالية' أي النضال المستدام في الحركة حتى يأتيك اليقين وتنتقل إلى الرفيق الأعلى بحسن الختام وأنت مع إخوانك وجماعتك لا خارجها أو ضدها، مجسدا بذلك عقد البيعة والوفاء به الذي يعني فيما يعنيه الإخلاص، لا غدر ولا خيانة، البذل والعطاء، تذكّر للود، ومحافظة على العهد. وشعارك الخالد "وعجلت إليك ربي لترضى".



الملاحق





حركة مجتمع السلم
رئاسة الحركة
الرئيس

الجزائر في:03ذو القعدة1430هـ
الموافق لـ:الخميس22أكتوبر2009م

هذا بلاغ للناس

من اغرب ما سمعته في حياتي أن القضاء السويسري يكذب، والخارجية تنفي، وقاضي التحقيق يصوب، والمحامي يتحدث عن طلب إجراء مواجهة بشرط الحصول على موافقة المعني والجهات المخولة تتنصل... إلخ. مع كل هذا تصر بعض العناوين الصحفية في الجزائر على التمسك بالمعزة ولو طارت، وحتى بعد صدور بيان رسمي من قيادة الحركة، شككت هذه الصحف في البيان وأبرزت رواية منظمة ترييال.(Track Impunity Always) فهل يبقى بعد هذا الإصرار من حاجة إلى إصدار تكذيب جديد؟

طالعتنا بعض الصحف الوطنية الصادرة بين أيام 19 إلى22 أكتوبر2009 بسلسلة من الأخبار تستهدف الحركة ورموزها، تصدَّرها خبر مفاده أن السيد أبوجرة سلطاني رئيس الحركة يكون قد تعرض لمحاولة القبض عليه في سويسرا على إثر شكوى تقدمت بها منظمة تريال بتحريك من المدعو أنور مالك، وأن رئيس الحركة يكون قد خرج من التراب السويسري فارًّا عن طريق فرنسا!

وتوضيحا لهذا الخلط نسوق بين أيديكم صورة ما حدث بشكل دقيق، ونعقب على ذلك بقراءة في الخلفيات والمآلات، ثم نختم هذا البلاغ بتوجيهات تربوية، وبالله التوفيق:

أولا، كرونولوجيا الأحداث:

في إطار مناشط الحركة ومأموريات رئيسها الذي كان في القاهرة لحضور فعاليات المعرض الدولي الذي تنظمه "الموسياد" على هامش الملتقى الدولي الـ13 لجمعية رجال الأعمال (IBF) والذي دأبت الحركة على أن تشارك فيه منذ سنة1998 ولم تتخلف عنه أبدا، انتقل الرئيس بعد نهاية أشغال الملتقى من القاهرة إلى سويسرا وفقا للترتيبات المبرجة سلفا بالتسلسل الزمني الموالي.

1- إن رئيس الحركة قد تنقل إلى جنيف من القاهرة يوم الخميس 15 أكتوبر 2009 بدعوة من رابطة مسلمي سويسرا للمشاركة في الملتقى الأسري الذي تنظمه سنويا تحت شعار "أسرة مستقرة". وعند وصوله زار، كالعادة، السلك الدبلوماسي الجزائري المعتمد في جنيف زيارة مجاملة وتواصل مع الجالية.

2- التقى الرئيس بمجموعة من أفراد الجالية الذين نظموا له جلسة مطولة استمرت إلى منتصف الليل تعرض خلالها لشرح أوضاع الجزائر وثمار ميثاق السلم والمصالحة الوطنية، كما تناول بالحديث الوضع الداخلي للحركة والآفاق المستقبلية، وأجاب عن أسئلة الحاضرين، وعند نهاية الجلسة تقرر أن يؤم المصلين في صلاة الجمعة ليوم الغد.

3- صبيحة الجمعة 16 أكتوبر 2009 أُبلِغَ رئيس الحركة بأن جماعة من الشباب الجزائريين يخططون للتشويش عليه داخل المسجد الذي سوف يلقي فيه خطبة الجمعة، وبعد مشاورات مع المسؤولين تقرر عدم إلقائه لخطبتي الجمعة والاكتفاء بالصلاة مع الناس احتراما لحرمة المسجد. وتفويتا للفرصة على الصائدين في المياه العكرة...

4- بعد صلاة الجمعة، وخارج المسجد، تجمهر مجموعة من الشباب بانتظاره ودخلوا معه في نقاش حاد حول الحكومة الجزائرية والتحالف والمأساة الوطنية والمفقودين والشيخ نحناح -رحمه الله- (والمشردين...) وأثاروا كل الحكاية القديمة المعروفة منذ عام1992...إلخ. وقد حاول رئيس الحركة تهدئة النقاش وإقناعهم

بالعودة إلى أرض الوطن والتوسط لهم لتسهيل هذه المهمة الأخوية الإنسانية في إطار ميثاق السلم والمصالحة الوطنية، وساعده بعض أهل الخير على نزع فتيل التشنج، وكان بعض الحاضرين من الناضجين حيث قاموا بتهدئة إخوانهم، وبعد لحظات من النقاش هدأت الأوضاع ووجد رئيس الحركة تجاوبا وتفهّما لدى البعض، لكن آخرين تطرفوا وتوعدوا بالانتقام وقالوا: "إن الله يمهل ولا يهمل".

5- ليلة السبت 17 أكتوبر 2009 تناهى إلى علم منظمي الملتقى أن هناك من يخطط للتشويش على سير الأعمال في الملتقى المقرر عقده في مقاطعة فريبورغ ولأن أوضاع الجالية لا تسمح بمزيد من التوتر في ظل استفزازات ضد الإسلام تحركها جهات متطرفة تحت غطاء "مناهضة الصوامع" هدفها الدعوة إلى هدم صوامع المساجد كونها رموزا للتطرف والتمييز بزعمهم، ولأن أي توتر جديد قد يساهم في تحريك أحداث شغب تساهم في صب الزيت على النار، ولأن الذين تجمهروا أمام المسجد بالأمس قد كشفوا عن نياتهم تجاه ما كان مبرمجا، وأن المستهدف ليس شخص أبوجرة سلطاني، وإنما ما يمثله بصفته رئيسا لحركة إسلامية ووزيرا للدولة سابقا وحركته طرف في التحالف... الخ. وبعد مشاورات واسعة قدّر القائمون على شؤون الدعوة في سويسرا والمنظمون للملتقى أنه من مصلحة الجالية، وحفاظا على العلاقة الطيبة بين أفراد الجالية، وحتى لا تتسبب هذه التظاهرة في إحراج الرابطة أو إزعاج السلطات السويسرية تقرر الاكتفاء بلقاء مع الجزائريين والعودة إلى أرض الوطن لتفويت الفرصة على من يريدون إحداث توترات بين السلطات السويسرية ورابطة مسلمي سويسرا بالإساءة إلى ضيوف الرابطة (ولاسيما أنه قد حصل مثل هذا في مؤتمرات سابقة، بل داخل المسجد، مع عدة علماء).

6- يوم السبت 17أكتوبر2009 سافر رئيس الحركة جوًّا، من مطار جنيف على متن الخطوط الجوية الجزائرية متجها إلى الجزائر في رحلة عادية، و كان في توديعه سفير الجزائر في بيرن وقنصلها العام في جنيف. ولما وصل إلى مطار هواري

بومدين سبقته أخبار تتحدث عن اختطافه في سويسرا أو اعتقاله في مقاطعة فريبورغ؟؟

ثانيا، قراءتنا للأحداث:

من حيث الشكل، هذه ليست المرة الأولى – ولن تكون الأخيرة – التي تتعرض فيها الحركة لموجة منظمة من القصف الإعلامي والتضخيم الصحفي الذي بلغ حد النكت المثيرة للضحك كما عبر عنه السجين حميد مباركي ردا على سخافات المدعو أنور مالك، ولكن الجديد في هذه الحلقة من سلسلة الهجوم على الحركة ورموزها ثلاثة مؤشرات كبرى:

- محاولة نقل المعركة الإعلامية إلى الخارج عبر الصحف ومواقع الأنترنيت.
- التنسيق الواضح بين كل خصوم الحركة في الداخل والخارج.
- توسيع حملة الإشاعات لتستوعب وزارات الحركة وكوادرها.

ولأن قيادة الحركة قد تعودت على مثل هذه الحملات فقد تعاملت معها ببرودة أعصاب وهدوء وصمت أفقد بعض الجهات توازنها ووقارها فتوالت التصريحات المغرضة التي كشفت فيها عن نياتها ومخططاتها قبل الأوان، وعن طريق الكذب الصريح والدعايات المغرضة أدركنا مرامي خصومنا مصداقا لقوله تعالى: (ولتعرفنهم في لحن القول)، وهكذا اكتشفت قيادة الحركة خيوط المكيدة المدبرة ضدها قبل الأوان، من طرفين:

- طرف مستفيد بشكل مباشر من سيناريو حبس الحركة في معارك التلهية.
- وطرف مرتزق ومأجور... على حساب الحق والعدل والإنصاف.

ولأن الصورة قد اتضحت تماما فإنه بات واجبا أن يعرف أبناء الحركة بعض الحقائق الكامنة وراء هذا اللغط الإعلامي الحاقد...

وبالمختصر المفيد نؤكد على أربع حقائق جوهرية هي:

1-أن المدعو أنور مالك (اسمه الحقيقي عبد المالك نوار) لا يمثل في كل هذه الزوابع إلا مخلب قط تُسوَّق من خلاله مشاريع مشبوهة... والعامة والخاصة يعرفون أنه مسبوق قضائيا ومشهور بقدرته على الكذب والافتراء وتلفيق التهم للناس، والذي يطلع على تصريحاته يكتشف أن الرجل مسكون بحب الشهرة والظهور(القاعة رقم01 في سجن الحراش بالجزائر تشهد على سلوكاته حسب رواية كل من كان معهم، ولعل نقل شهادة السيد حميد مباركي (الذي يقضي عقوبة المؤبد بالمؤسسة العقابية بالشلف) خير دليل للرد على افتراءات هذا المدعي على لسان رجل يعرفه عن قرب، فقد جاء في يومية الشروق الصادرة يوم الأحد 18أكتوبر2009 بالحرف الواحد:

- هل تعرض أنور مالك للتعذيب أمام أعين أبو جرة سلطاني (دون أن يسميه) في سجن الحراش؟ (يضحك)... الأمر فعلا مثير للضحك لأن أنور يعتقد أنه شخصية سياسية مهمة يتطلب شخصا مثل وزير الدولة أبو جرة سلطاني حضور جلسة تعذيبه، فأنا أنفي وقوع هذا الأمر في الحراش جملة وتفصيلا، وإذا وقع هذا النوع من العمل فليس في سجن الحراش وأي مسؤول يحضر جلسة استنطاق مع سجين تكون في مؤسسة أمنية مثل مقر الشرطة أو المخابرات وليس السجن. ثانيا أتصور حضور شخصية بوزن أبو جرة سلطاني رغم وجود "أسرار بينهما" لجلسة استنطاق تكون مع أشخاص هم أطراف مهمون في الأزمة السياسية والأمنية التي شهدتها الجزائر بداية التسعينات أمثال عبد القادر حشاني، عبد الحق العيايدة ويخلف الشراطي القيادي البارز في الحزب المحظور إلى جانب مبارك بومعرافي المتهم بقتل رئيس المجلس الأعلى للدولة محمد بوضياف كانت موجودة في السجن وليس مع مجرد صحفي لا يقوى على الجهر بكلمة الحق." انتهى كلام السيد حميد مباركي.

وتعليقنا البسيط على هذا التصريح أن المدعو أنور مالك حدد تاريخ حضور السيد رئيس الحركة جلسة تعذيبية المزعوم يوم 01 جويلية 2005، وبهذا التحديد وقع في الكذب الصراح من جهتين:

-أن يوم 01 جويلية 2005 يصادف يوم الجمعة، وقد كان المدعو أنور مالك يومها يدلي بشهاداته أمام 07 من ضباط الشرطة القضائية ورجال الدرك الوطني بالكتيبة الإقليمية للدرك الوطني بالجزائر العاصمة حيث تؤكد الوثائق التي عثر عليها بحوزته أنه شخصية غريبة الأطوار، فهل يملك واحد من هؤلاء السبعة أن يشهد بأن أبوجرة قد حضر معهم جلسة التحقيق؟

-أن رئيس الحركة كان خارج العاصمة، في هذا اليوم بالذات، لأنه تعود (حين كان وزير دولة) أن ينزل إلى الولايات في مهمات حزبية نهاية كل أسبوع (الخميس والجمعة) وقد صادف ذلك في هذه المرة أن رئيس الحركة كان في مهمة رسمية بصفته وزير دولة لحضور ندوة منظمة المؤتمر الإسلامي باليمن، ثم اجتماعا رسميا بليبيا أي كانت رحلته من 28 جوان 2005 إلى 7جويلية 2005، فكيف يحضر جلسة تعذيب مواطن في الجزائر وهو في مهمة خارج الوطن بشهادة الوفد الرئاسي الذي كان معه (وبحوزته وثائق رسمية تؤكد هذه الحقائق).

2- أن ما تداولته جميع الصحف ومواقع الإنترنيت في الداخل والخارج حول حادثة سويسرا واحتمال تعرض رئيس الحركة للاعتقال أو الفرار برًا عن طريق فرنسا "سيناريو" إعلامي نسجته جهات مغرضة في سويسرا وسربته لجميع وسائل الإعلام والصحافة فتناقلته بعضها عن بعض، وبالعودة إلى فحص دقيق في كل ما صدر بين أيام 17إلى 22أكتوبر2009 نخرج بخلاصة واحدة مكررة في جميع وسائل الإعلام، وهي:

-أن المنظمة المسملة ترييال هي التي نسجت هذا السيناريو.
-أن عناصر داخل الوطن وخارجه روجوا له لأهداف دعائية رخيصة.
-أن بعض الصحف الوطنية ارتزقت به لمدة أسبوع كامل.
-أن الروايات قد تضاربت بعد صدور بيان الحركة يوم 19/10/2009 والذي كذب

الخبر جملة وتفصيلا، وأكد أن السيد رئيس الحركة قد عاد من جنيف إلى الجزائر في رحلة عادية على متن الخطوط الجوية الجزائرية، ومع ذلك استمرت بعض الصحف في ترديد رواية الفرار؟؟

3- ما نشرته الصحف المحلية والأجنبية - إذا تجاوزنا كذبة الفرار- تمحور حول محاولة من جمعية ترييال لترتيب مواجهة (مقابلة وجها لوجه) بين السيد أبو جرة سلطاني والمدعو أنور مالك على خلفية أن هذا الأخير تقدم بشكوى كاذبة لدى قضاء مقاطعة فريبورغ وأن قاضي التحقيق قد استمع إلى أقواله بتاريخ 16أكتوبر2009، وأن محاميه داميان شرفاز اقترح أن تعقد جلسة مواجهة مباشرة إذا قبل أبوجرة ذلك... إلخ.

وتعليقنا على هذه الروايات المتضاربة نتساءل:

لماذا يوم الجمعة بالذات؟

-يوم الجمعة 16أكتوبر2009 استمع قاضي التحقيق إلى المدعو أنور مالك.

-يوم الجمعة 16أكتوبر2009 تقرر عقد مواجهة بينه وبين أبوجرة.

-يوم الجمعة 16أكتوبر2009 تجمهر مجموعة من الشباب أمام المسجد وتلاسنوا مع أبوجرة -.يوم الجمعة 16أكتوبر2009 تقرر إلقاء القبض على أبوجرة في مقاطعة فرايبورغ حسب بيان منظمة ترييال... إلخ.

والسؤال: من الذي أبلغ منظمة ترييال أن تدعو المدعو أنور مالك (وهو مقيم في فرنسا) ليرفع شكوى ضد السيد أبوجرة سلطاني القادم إلى سويسرا يوم الخميس 15أكتوبر2009 ليكون هو يوم الجمعة16أكتوبر2009 بنفس المكان؟ والسؤال الثاني: إذا كان قد أودع بلاغا جنائيا يوم 12أكتوبر2009 إلى قاضي التحقيق في كانتون فريبورغ ضد السيد أبوجرة سلطاني يتهمه بالإشراف على تعذيبه يوم 01جويلية2005 (باعتباره يقف وراء تنسيق جلسات التعذيب) حسب نص بيان جمعية ترييال، فلماذا لم تلق السلطات السويسرية القبض على سلطاني الذي دخل ترابها يوم15أكتوبر من مطار جنيف الدولي وخرج من نفس المطار متوجها إلى الجزائر عبر الخطوط الجوية الجزائرية؟ وهل تكذب هذه المنظمة تصريح القضاء السويسري؟

هناك تفسير واحد لهذه الروايات المتضاربة وهو:

إن سنة 2005 هي سنة ميثاق السلم والمصالحة الوطنية، وأنه منذ الاستفتاء حول قانون الوئام المدني سنة 1999 لم تشهد الجزائر حالة تعذيب واحدة، بشهادة كل من مثل أمام القضاء، فكيف خُصّ المدعو أنور مالك وحده بحالة تعذيب في عزّ افتخار الجزائر بميثاق السلم والمصالحة الوطنية؟أن الهدف ليس أبوجرة سلطاني وإنما العودة إلى أطروحة "من يقتل من؟" و "من يعذب من؟" وهذا ما جاء بشكل واضح في بيان منظمة ترييال "Track Impunity Always" المنشور على موقعها الإليكتروني يوم19 أكتوبر2009 حيث جاء فيه بالحرف الواحد: "وفي تموز/يوليو2009، سبق لجمعية ترييال أن راسلت لجنة مناهضة التعذيب التابعة للأمم المتحدة بخصوص شكوى رفعت ضد الجزائر، وذلك بسبب أعمال التعذيب العديدة التي تعرض لها السيد عبد المالك في بلاده في فترة بين عامي 2001 و2005، علما أن السيد سلطاني يوجد من بين الأشخاص الذين أشار إليهم الضحية باعتباره يقف وراء تنسيق جلسات التعذيب، ونظرا لما تعرض له السيد عبد المالك من تعذيب وسوء المعاملة، منح صفة اللاجئ في فرنسا، حيث يقيم الآن". انتهى كلام منظمة ترييال.

فالشكوى رفعت ضد الجزائر، وأبوجرة واحد من بين الأشخاص الذين ينسقون جلسات التعذيب (حسب منطوق بيان منظمة ترييال).

4- كل باحث عن الحقيقة يجب عليه أن يعرف بشكل واضح وصريح ماضي ومسار الجهات الواقفة خلف هذه الزوبعة فإذا عرف السبب بطل العجب، وهو ما يحتم علينا دعوتكم إلى ضرورة التعرف على ماضي ومسار المدعو أنور مالك، فقد تواترت الشهادات من مختلف ضحاياه أنه كان نصابا، ومحتالا، ومبلغا عن جرائم وهمية، ومتورطا في قضايا واتهامات خطيرة جدا، آخرها جنحة النصب والاحتيال التي قضى بسببها عاما حبسا نافذا بسجن الحراش غرفة 01، وما قام به من تصرفات داخل السجن يرويها كل من كان محبوسا معه!

أما منظمة تريبال "Track Impunity Always" فيكفي الدخول إلى موقعها والاطلاع على ما تنشره يوميا ليعرف كل متابع خلفياتها وأهدافها ومراميها.

ثالثا، ماهو المطلوب؟:

اشتهر عن الشهيد ياسر عرفات رحمه الله قوله: "يا جبل ما يهزك ريح" ونحن نعتقد أن حركتنا قد صارت جبلا يزعج بثباته، وقوته، وتماسكه، ورسوخه في الأرض الطاهرة... وقد تعجب الناس كيف تلقت الحركة كل هذا الكم الهائل من الضربات منذ 2003 إلى اليوم ولم يتزعزع، وهي اليوم تمر بالربع ساعة الأخير من الاختبارات الميدانية، وهو اختبار بمقدار ما هو تافه إلا أن ضجيجه الإعلامي كان مدويا وقد استغلته جهات كثيرة ربما كانت لها "حسابات" قديمة مع الحركة ورجالها ومؤسساتها وإطاراتها الناجحين... فسارعت إلى تعفين الأجواء لتصفية هذه الحسابات فاصطدمت بثلاثة جدران سميكة:

- جدار استخفاف أبناء الحركة بما يجري وانكبابهم على العمل الميداني.
- وجدار هدوء القيادة وانصرافها إلى ما هو أهم.
- وجدار ثقة وزراء الحركة في إطاراتهم وعدم الالتفات لما يشاع ويروج ضدهم تاركين الأمور لتقدير الجهات القضائية التي تملك كل الكفاءة "لغربلة" الصحيح من السقيم، وفي النهاية نحن بشر ونحن جزء من نسيج هذا الشعب.

إن الحكمة تقول: كل شيء يبدأ صغيرا ثم يكبر إلا المصيبة فإنها تبدأ كبيرة ثم تصغر، والرسول المربي صلى الله عليه وسلم يقول: "إنما الصبر عند الصدمة الأولى". ولذلك، وبفضل الرجال الثابتين ثبتت هذه الحركة أمام مختلف الزوابع، ونحن أمام هذه الإشاعات كنا من الثابتين:

1- لقد تعامل السيد رئيس الحركة بمرونة وحكمة مع استفزازات المشوشين احتراما للأعراف البرتوكولية وتقديرا للسلطات السويسرية وتفويتًا للفرصة على من يعملون على تعكير الأجواء وإحراج رابطة مسلمي سويسرا الذين يواجهون حملة ما يعرف بمناهضة الصوامع بعد معركة الحجاب.

2- تحتفظ الحركة بحقها في المتابعة القضائية ضد كل من تسبب في ترويج هذه الإشاعات المغرضة، ورئيس الحركة مستعد لأي إجراء من شأنه وضع النقاط على الحروف.

3- ومن جهتكم، نحيي فيكم صبركم وتفهمكم لطبيعة القصف الإعلامي وتعاطيكم إيجابيا مع كل ما حدث، ونحن نعرف وعيكم وقدرتكم على تجاوز هذه الاختبارات الظرفية، ولكن زيادة في التثبيت من باب (بلى، ولكن ليطمئن قلبي) نوصيكم بأربع هن العواصم من القواصم إن شاء الله:

الأولى، الثقة في الله: أساس دعوتنا هو طهارة اليد واللسان والثقة في أن الله تعالى يمهل ولا يهمل، وإذا سمح هؤلاء لأنفسهم أن يتطاولوا على الحركة ورموزها وكوادرها ورجالها فإن الزمن كفيل بأن يكشف الحقائق إذا صبرنا واحتسبنا وتركنا القيل والقال وانغمسنا في العمل الميداني، فالإشاعات زبد سوف يذهب جفاء وأما العمل فهو نافع للناس وسوف يمكث في الأرض.

الثانية، التأسي بسيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم: فما قيل عن رسول الله صلى الله عليه وعن سائر المرسلين عليهم السلام يعطينا دلالة واضحة على أن طريق الدعوات له ضريبة ثقيلة وتكلفة مرة، وليس لنا من زاد إلا أن نصبر كما صبر أولو العزم من الرسل، ونعالج جراحات النفوس بقوله تعالى: (واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون).

والثالثة، الظن بإخوانكم خيرا: فالأصل هو البراءة، وكل كلام ينطلق من خلفيات مغرضة الأصل فيه الرد حتى يثبت العكس في الاتجاهين: (ولولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا إفك مبين).

وإذا كان للإفك قديما صورة واحدة فقد صارت له اليوم "مؤسسات دعاية" تطبخه، وتعلبه، وتسوقه... وإذا انتهت صلاحية استخدامه أعادت إخراجه في أثواب جديدة.

والرابعة، رفعه إلى أعلى: فكل ما تتم إذاعته من أخبار وإشاعته من أراجيف يتعفن إذا تم إنزاله إلى أسفل، ولذلك فإن أفضل طريقة لمعالجة هذه الصور من القصف الإعلامي هي ردها إلى القيادة وانتظار ما يصدر عنها من بيانات وتوضيحات رسمية تكون هي المعتمدة أساسا كجزء من الولاء للفكرة والمنهج والتنظيم لقوله تعالى: (وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به.ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم.ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا).

ففقه تقدير المصلحة في إذاعة الأخبار ضابط من ضوابط الإيمان إذا تناقضت الروايات وتعارضت الإشاعات، بل هو ثمرة وعلامة من علامات الخيرية في هذه الأمة وفي هذه الحركة، فنقل الأخبار فوق كونها رذيلة أخلاقية، هي مدعاة لإفساد القلوب وزرع الشك في الصف المرصوص.واتباع لهوى شياطين الإنس والجن الذين يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا. وإذا كان بعضكم قد كره ما أصاب الحركة ورموزها وكوادرها ورجالها من ضرّ فليراجع فقه التمحيص ليقف على حقيقة قوله تعالى: (عسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا).

والله أكبر ولله الحمد

الملحق (02)

حركة مجتمع السلم..
وأطروحة الانفصال حفاظا على المنهج والفكرة؟
مناقشة علمية هادئة

نشر بموقع وحدة صف . كوم

كثر الحديث هذه الأيام عن الانحراف عن المنهج والفكرة في حركة مجتمع السلم، واعتمده الذين انفصلوا عن الحركة مبررا كافيا لإعلان "حركة الدعوة والتغيير" بعد صدور الرسالة الأخيرة للمرجعية.

مع أن رفع تجميد الصلة مرهون بشرط إنهاء الخلاف لا بتعميقه وبمداواة الجراح لا بتعفينها، وبتحقيق صف رباني واحد لا بصفوف متعددة متخاصمة كما هو الحال على صفحات الجرائد يوميا. قال ابن العربي الفقيه المالكي: "إنّ الاختلاف والتفرق المنهي عنه إنما هو المؤدي إلى الفتنة والتعصب وتشتيت الجماعة" (أدب الاختلاف ص111).

ثم الرسالة الأخيرة للمرجعية تتحدث عن تجميد الصلة لا قطعها. وفرق كبير بين التجميد والقطع في الأحكام والتنظيم.

الأصل في فض النزاعات إنما هو اللجوء إلى العلم وتحقيق العدل، وإلا فالتمسك بالنصوص الثابتة في وحدة الصف أولى دون التفات إلى الأسباب التي بعضها حق وبعضها فيه دخن وبعضها اتباع الظن والهوى. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "وما تنازعت فيه الأمة وتفرقت فيه إن أمكنه أن يفصل النزاع بالعلم والعدل وإلا استمسك بالجمل الثابتة بالنص والإجماع وأعرض عن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا فإن مواضع التفرق والاختلاف عامتها تصدر عن اتباع الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى" (مجموع الفتاوى ج12 ص237).

وما دام الانحراف عن المنهج والفكرة هو السبب الرئيسي في دعوى الانفصال فنحن محتاجون إلى تحديد معاني ودلالات المنهج والفكرة.

معنى المنهج: لغة هو الطريق، ونهجت الطريق بينته، كما جاء في أساس البلاغة للزمخشري ص883. والمنهج مصدر ميمي بمعنى المسلك الواضح والطريق البين الذي لا يختلف فيه الناس. والمنهج في الاصطلاح الحركي: هو خط الحركة وبناؤها الفكري الذي قامت عليه. فالحركة في منهجها قائمة على:

1ـ الاحتكام إلى هدي الكتاب والسنة.

2ـ الاهتداء بهدي النبي صلى الله عليه وسلم من خلال مشاهد السيرة في فهم الإسلام واستيعاب مقاصده.

3ـ مؤطرة بالأصول العشرين الميسرة لتطويق الخلاف وتحديد المُشترك وأولويات السير.

4ـ العالمية في الرؤية والدعوة والتنظيم والتعاون.

5ـ التكامل بين الدعوي والسياسي فهما وممارسة خدمة للإسلام ومصالح الأوطان.

6ـ التزام الشورى كمبدإ وآلية في اختيار الأفراد وتحديد الاجتهادات.

7ـ الاعتدال والوسطية في التصور والعمل والعلاقة مع الآخر.

8ـ أولوية الانتصار للإسلام عقيدة وشريعة وأمة.

9ـ أولوية التربية دون انقطاع عن هموم الأمة وواجبات الوقت من بناء الفرد إلى الأسرة إلى المجتمع إلى الحكومة إلى أستاذية العالم.

10ـ الانحياز للشعوب والانتصار لها ورفع الظلم والغبن عنها.

11ـ المرحلية والتدرج في الدعوة والعمل على التمكين لدين الله مع مراعاة الواقع المحلي والدولي.

12ـ الحفاظ على وحدة الأوطان وقدسيتها واعتبار مصلحة الوطن من مصلحة الإسلام.

13ـ التزام الجماعة ونظامها وقيادتها في إطار الأخوة والمحبة والمسامحة من أجل العمل للإسلام والوطن.

فهذا هو المنهج الذي قامت عليه الحركة وعليه نُحاكِمُ الملتزم به من غيره بعيدا عن الظلم والتحرص واتباع الهوى.

كما يجب أن نفرق بين الانحراف والتقصير والتهاون من غير قصد.

ونفرق بين الانحراف الفكري وأخطاء السلوك كما فرق النبي صلى الله عليه وسلم بين من قال أعدل، هذه قسمة ما أريد بها وجه الله" وبين من جيء به يشرب الخمر فلعنه أحد الصحابة فقال: "لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله" ـ البخاري وغيره.

فالأول منحرف وإن ثبت عنه كثرة السّجود والذكر كما وصفه ابن حجر، لأن ما صدر منه يمس خط العقيدة، والثاني عاص شملته رحمة الله لأنه يحب الله ورسولَه، ثم فرَّق بين الانحراف ومواطن الاجتهاد في بعض تَفَاصِيلِ المَنْهجِ من أجل الفهم أو المراجعة أو التصحيح، ثم فرَّق بين الانحراف والخطإ في تفاصيل المنهج وتطبيقاته، يقول ابن العربي "فالجاهل والمخطئ من هذه الأمة ولو عمل من الكفر والشرك ما يكون صاحبه مشركا أو كافرا فإنه يُعذر بالجهل والخطإ ـ الثوابت والمتغيرات في مسيرة العمل الإسلامي ص:169.

لما بعث حاطب بن أبي بلتعة برسالة إلى الكفار يخبرهم بقدوم النبي صلى الله عليه وسلم إليهم استنكر القرآن منه هذا السلوك فنزل قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق) (الممتحنة 01)، حتى قال عنه بعض الصحابة: "نافق حاطب!"

لكن النبي صلى الله عليه وسلم تفهمه ولم يعتبره منحرفا مستوجبا للعقوبة لأنه أخطأ وخطأه مغمور في بحر حسناته السابقة، "لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اصنعوا ما شئتم فقد غفرت لكم" ـ البخاري. يقول ابن تيمية: "إذا اجتمع في الرجل الواحد خير وشر وفجور وطاعة وسنة وبدعة استحق من الموالاة بقدر ما فيه من الخير، هذا هو الأصل الذي اتفق عليه أهل السنة والجماعة وخالفهم الخوارج والمعتزلة." مجموع الفتاوى ج28 ص209.

ولو كانت الأخطاء والزّلات تمنع المؤمنين من أن يوالي بعضهم بعضاً وتستوجب حالا المقاطعة والمدابرة لم يبق بين المسلمين عصمة ولا أخوة ولذهبت الريح كما قال الله تعالى.

ـ لقد ارتد عبد الله بن أبي سرح وقام بدعاية ضد القرآن لأنه كان سابقا من كتبة الوحي وزعم أنه كان يملي القرآن على محمد. وأهدر النبي دمه وتشفع له عثمان وتاب الله عليه وأصبح بعد ذلك قائدا قاد الفتوحات في إفريقيا وخاض أول معركة بحرية في زمن معاوية هي ذات الصواري ومات في صلاة الصبح ساجدا لله.

ـ وارتد الأشعث بن قيس في زمن النبي ﷺ وعاد إلى الإسلام في زمن أبي بكر وحسن إسلامه، وكان قائدا ذا شأن روى له البخاري ومسلم 09 أحاديث.

ـ وارتد طليحة الأسدي وادعى النبوة وقتل الصحابة ومنهم عُكاشة المبشر بالجنة الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم "سبقك بها عكاشة"، ثم تاب وعاد إلى الإسلام وشارك في الغزوات والفتوحات ومات شهيدا في معركة نهاوند.

ـ وشارك مِسطح بن أثاثة في حادثة الإفك ضد عائشة -رضي الله عنها- وهو من أهل بدر وكان أبو بكر ينفق عليه. وجلده النبي -صلى الله عليه وسلم- حدّ القذف. ولما امتنع أبو بكر عن الإنفاق عليه نزل قوله تعالى يأمره بالاستمرار في إعالته (ولا يأتل أولو الفضل منكم والسَّعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا الا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم). (النور 22).

ـ وأخطأ خالد بن الوليد في غزاة فقتل أبرياء حتى رفع النبي -صلى الله عليه وسلم- يديه وقال: "اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد" ـ البخاري وغيره ـ ولم يمنعه من أن يستمر قائدا له مقامه ومنزلته في الفتوحات.

ثم فرق بين الانحراف في إطار الهدوء والوحدة والانحراف والخطإ في ظل الفتن والأهواء والضغوطات ومختلف التجاذبات وما حدث بين الصحابة في زمن الفتنة هو من هذا القبيل.

فإنه في زمن التجاذبات يكثر الهرج والقيل والقال وتكثر الأخطاء في التصريحات والمواقف ومختلف التعاملات.

كما أنّ العقل يطيشُ وسط الشعور بالظلم: ظلم الإقصاء والتهميش أو ظلم مصادرة نصر أو إنجاز في ظن أصحابه، فالظلم أثر على بعض العلماء قديما فاعتزلوا الناس كالمحدث ابن بطة والإمام مالك وابن الجوزي وغيرهم.

وأثر الظُّلم في بعضهم فثاروا بالسلاح والقوة ضد الأمير الطاغية كما حدث في زمن الحجاج وثورة العلماء التي انتهت بموتهم وهلاكهم تقريبا جميعا.

وأثر الظلم في بعضهم فدفعهم إلى مواقف وخيارات سببها الظروف المحيطة.

ثم إن الانحراف إذا صرح صاحبه بالتوبة والإنابة والرجوع عنه قُبل، فقد قبل الله -كما قال ابن تيمية- توبة شاتم الرسول صلى الله عليه وسلم ويقبل توبة من سب الصحابة وطعن فيهم.

وقبل توبة من ادعوا النبوة وقتلوا خيار الصحابة.

فالمنهج الإسلامي يستوعب المخطئين والتائبين جميعا. وهذا ما كان عليه سلف هذه الأمة.

فالناس قد يخطئون في اختيار من يتولّى أمرهم فهل هذا يوجب الخروج والتمرد ووصفهم بما لا يليق من النعوت والأوصاف، كلاًّ والله.

فلا يزال علماء المسلمين يجيزون موالاة المسلمين لبعضِهِم البعض مع وجود المعاصي والعيوب والأخطاء والزلأت الكبرى، ومن راجع نظريات أهل السنة والجماعة تأكد من هذه المعني.

مناقشة دواعي وأسباب الانفصال:

أ ـ الانحراف عن المنهج: وقد بينّا الأمر في الفصل السابق بما يكفي. كما أنه لم يثبت دليل شرعي أو نظر حركي يجيز إحداث الفتنة والفرقة والنّزاع وتوسيع الجراح بناء على هذا المبرر، خصوصا إذا لم تكن الدعوى مبيّنة درجة الخطإ وخطورته بالحجّة والبرهان وأعطيت فرصة للمتهم للرد والبيان والتوضيح.

فالشرع شدّد في الحفاظ على الجماعة مع وجود الأخطاء و الظلم والمعاصي، وهذا بالنظر إلى المآلات وموازنة بين المصالح والمفاسد، وهذا منهج أهل السنة والجماعة كما قال ابن تيمية.

من قواعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن لا يكون العمل على إزالة المنكر مستلزما أو مقتضيا وقوع منكر أعظم منه - أصول الدعوة ص217.

ثم هل يقتضي وجود الانحراف الخروج أو يقتضي الصبر والمصابرة كما هو منهج السلف.

وغاية ما هو مطالب به للمسلم إذا لاحظ الانحراف النُّصحُ والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر والتصبر في إطار ما هو متاح من المؤسسات والفضاءات بعيدا عن إشاعة الفاحشة في الذين آمنوا فذلك منكر وكبيرة من الكبائر.

ب - الانحراف عن خط الشيخ محفوظ نحناح رحمه الله: ابتداء، يجب أن نحدد مفردات خط الشيخ -رحمه الله- ثم نفرق في هذا الخط بين الثوابت المستمدة من الكتاب والسنة وأصول المدرسة وبين ما هو من قبيل الاجتهاد والمتغيرات التي هي مساحة كبيرة للنظر.

فلقد كان الخط العام الذي رسمه الشيخ قائما على:

1 - الاستمداد من هدي الكتاب والسنة.

2 - التأطير بالمقررات الأساسية لفكر الحركة الأم.

3 - المشاركة والتعاون مع الآخر خدمة للإسلام والوطن وثوابته ومصالحه.

4 - إدانة الإرهاب بوضوح وشجب العنف للوصول إلى الحكم أو البقاء فيه.

5 - التوفيق بين الشورى ومحاسن الديموقراطية الحديثة.

6 - التوليف بين الفكر الوطني والفكر الإسلامي.

7 - صناعة الهدوء في العلاقة مع السلطة والحاكم والمحكوم.

8 - الانحياز أكثر لهموم الشعب وأولوياته.

9 - عدم الذوبان في خيارات النظام وتوجهات الحكم إن خالفت القناعات الفكرية والعقدية للحركة وممارسة التميز أثناء المشاركة معه.

10- خدمة الإسلام والوطن والمواطن من خلال التواجد بالمواقع الأمامية، ومن خلال فقه المشاركة.

فالحكم على الحركة بالانحراف عن خط الشيخ يُقاس بهذه العُشرية لمعرفة فَداحة الانحراف وخطورته، ثم من العدل أن تقول إنَّ الحديث عن الانحراف بدأ منذ 1990 من تأسيس الحزب إلى التكيف والاندماج في الحزب إلى خيار المشاركة والمهادنة إلى الدخول في الحكومة والمشاركة في الخيارات الكبرى والأساسية للدولة والمجتمع إلى ظهور أخطاء قيادات الصف الأول في السلوك والاغتناء بالمناصب ومختلف الأخطاء الأخرى.

ج ـ تغييب الشورى وظهور المحاباة والإقصاء وصناعة محاور وتهميش المخالفين وغيرها من مثل هذه التهم، ومثل هذه التهم لم يسلم منها أحد، فلا تزال القيادة في كل الحركات العالمية قديما وحديثا مُتَّهمة بمثل هذه الأفعال، وحتى القيادات السابقة والذين هم في التغيير كانوا مُتَّهمين من القيادات الوطنية والقيادات الوسطى والقواعد بمثل هذه التُّهم.

وحتى وإن سلمنا بوجود هذه الأخطاء فليست إطلاقا مبررا للانفصال وبناء كيان آخر للأسباب التالية:

1 ـ نسبية هذه الأحكام.

2 ـ وجوب التصحيح داخل الحركة مع الصبر والمصابرة.

3 ـ الأدلة الشرعية التي استند إليها أهل السنة والجماعة تمنع الانفصال والفرقة حتى مع وجود درجات معينة من مثل هذه الأخطاء.

د ـ الأخطاء السلوكية: والواجب فيها شرعا الستر إلا من جاهر وأعلن، ثم شرعا نحتاج إلى البيّنة الشرعية وممارسة النصح وحركيا نقلها في شكل تقارير إلى الجهات المخوّلة للنظر فيها والبتّ فيها، ثم من حق المتهم الدفاع عن نفسه وتبيان وجه الحق من الباطل فيما نُسب إليه، فالتُّهم الجُزافية والعامة والمتداولة خارج المؤسسات وبعيدا عن الضوابط الشرعية حتى وإن صحّت لم يثبت به أمر أو قرار. في زمن عمر بن الخطاب شهد 04 من الرجال بالزنا ضد المغيرة بن شعبة فلما تلكأ واحد منهم جلدهم حدَّ القذف واستمر في تولية المغيرة، واستتابهم فتابوا إلا

أبا بكرة فإنه صمَّمَ على الشهادة وقال فيه ابن كثير: "وكان أبو بكرة خير الشهود وكان ممن اعتزل الفتنة" ـ البداية والنهاية ج8 ص55.

ولو سلمنا بقبول الاتهامات المتداولة بالإعلام والإشاعة لم يسلم منا أحد، فالرموز الإسلامية قديما وحديثا ما تزال تُنسَبُ إليها ألوان من التهم الأخلاقية والسلوكية بناء على الظن والهوى وأحيانا "تسريبات" سماسرة الأزمات وأصحاب الأجندات، وأحيانا يتم تضخيم الأخطاء والعيوب بناء على وجود بعض الرموز في مواطن الشبهات.

والواجب الشرعي على القيادة التنزه عن مواطن الشبهات والابتعاد عن الدوائر الملطخة بتهمة نهب المال العام والحرص على القدوة بالعمل والسلوك والمواقف والخطاب والابتعاد عن الرغبة في الاغتناء بالمنصب أو الاستقواء به. وقد ثبت تاريخيا تغيّر حال بعض أهل العلم والدعوة بسبب مداخلة السلطان وأعوان السلطان قال رسول الله ﷺ: "من أتى أبواب السلطان افتتن" ـ رواه البخاري ـ

فالحافظ عبد الغني المقدسي كان فاضلا حييا عالما مُبجَّلا خالط الملوك وأبناء الملوك فتغيّرت أحواله ـ البداية والنهاية ج13 ص154.

ويذكر ابن الجوزي في صفة الصفوة بعض الوعاظ والزّهاد الذين فسدوا بمخالطة الأمراء والسلاطين وكأن المال العام لعنة من مدَّ إليه يده أو داخله أصابته لعناته لأنه ربما ممزوج بأوجاع الفقراء وآلام اليتامى والمساكين.

هـ: استحالة التآلف والتعاون مع قوم بمثل ما هم عليه من الأخلاق والأساليب والأدوات المنكرة.

الرد: المجتمع المسلم الأول منذ أن قام شهد الله أن فيه السابق بالخيرات والمقتصد والظالم لنفسه. وكلهم كما قال ابن تيمية من أهل الجنة إن شاء الله. ثم لم نعلم من أدلة القرآن والسنة وآراء العلماء اشتراطات الوحدة بمثل هذا الشرط، لأن الوحدة واجبة على المتنازعين والمتخاصمين، وعادة ما يقع من المتنازعين سوء الأخلاق والجفاء، كما قال الصحابي عبادة بن الصامت عقب النزاع في مغانم بدر: "ساءت أخلاقنا".

ويوسف عليه السلام توحد مع إخوته بعد سنوات من الجفاء والاتهامات والظلم، لقد ألقوه في البئر ثم اتهموه رجما بالغيب بالسرقة (إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل). (يوسف 77)، ومع ذلك قال لهم: (لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين). (يوسف 92)، وحمد الله على التئام الشمل فقال: (وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي إن ربي لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم). (يوسف 100). والحسن بن علي رضي الله عنه تنازل سنة 41 هـ لمعاوية دون اختلاق مثل هذه الأعذار، مع أنه ـ كما شهدت مصادر تاريخنا ـ أن محيط معاوية -رضي الله عنه- كان فيه بعض السوءات الكبرى في الرجال والأخلاق والممارسة، ومع أن الحسن كان يملك من الشرعية ما يؤهله لهذا المنصب. وتحقق بعد هذا التنازل خير كبير، إذ توسعت الفتوحات وعم الأمن والاستقرار، وخسر الروم كثيرا من مواقعهم ولم يستطيعوا استردادها.

و: إذا عدنا سنكون بلا تأثير وستزداد هيمنة من بيدهم أمر الحركة.

الرد: لله الأمر من قبل ومن بعد، (يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء). وقال سبحانه: (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون). (الأنبياء 105).

وقال سبحانه: (أما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض) (الرعد 17). وقال سبحانه: (والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه). (الأعراف 58).

فلا يمكن أبدا أن ينتصر الشر على الخير ولا الظلم والباطل على الحق، لكن الثابت من تجربة التاريخ أن الناس إذا شُغلوا بالأشخاص والمحاور تلهوا عن الحق وذهلوا عن الصواب.

أما الأفراد قد يقدمون وقد يؤخرون والأمر إلى خيارات القواعد والمؤسسات. والثابت من تجربة التاريخ أن الناس إذا تركوا يعملون في هدوء بعيدا عن الإثارة والتوتر المستمر يحسنون الخيارات ويمارسون المراجعات بعيدا عن ضغط الأشخاص والمحاور.

س: إذا عدنا سنكون مشاركين في الانحراف وستضيع هيبة الحركة إلى الأبد.
الرد: الاعتقاد بأن آلاف الإخوان والأخوات متواطئون على الانحراف أمر ممجوج لا يقبله شرع ولا نظر ولا عقل صريح.

وقد ثبت أن الله عصم أمة محمد -صلى الله عليه وسلم- من التواطؤ على الباطل والمنكر عمدا، كما كان حال بني إسرائيل.

ثم ليس من العدل أن نزكي أنفسنا فنزعم أن من معنا أصفياء خلص لا يريدون إلا الخير للأمة والإسلام قد زهدوا في المناصب، فهم مشغولون بالدعوة إلى الله وإنقاذ البشرية.

والآلاف في الطرف الآخر همل ضياع لا خير فيهم أبدا.

فمن يعطيك مثل الحق؟

إن أهل السنة والجماعة -كما قال ابن تيمية- "يعبدون الحق ويرحمون الخلق ويتوسطون في الأمر".

هم أهل نصيحة وإرشاد، يعتقدون أن قلوب العباد بين أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء، فإن الرجل مازال يعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يبقى بينه وبينها إلا شبر أو ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيكون من أهلها كما جاء في الحديث، والأمور بخواتيمها، نسأل الله حسن العاقبة.

لما قال الناس في يزيد بن معاوية فاسق ظالم، وقال آخرون بل رجل صالح من أولياء الله، فقال ابن تيمية مترجما منهج أهل السلف في الاعتدال: " يزيد لا يحب ولا يسب"، ثم قال "لعله من المغفور لهم بنص حديث البخاري "يغزو القسطنطينية جيش مغفور لهم ولأميرهم" وكان أميرهم يزيد وشارك معه أبو أيوب الأنصاري -رضي الله عنه- الذي استشهد هناك وضريحه إلى الآن في مدينة اسطنبول".

مع أن يزيد قتل الحسين -رضي الله عنه- وحدثت في زمنه شرور كثيرة وتمكن من النفوذ أصحاب المعاصي والهوى.

ولو أنه كلما وقع عجز في التغيير انفصل الناس، لما استقام الأمر، يقول ابن تيمية: "ولو كان كلما اختلف مسلمان في شيء تهاجرا لم يبق بين المسلمين عصمة ولا أخوة" (مجموع الفتاوى ج24 ص 173).

ز: حركة مجتمع السلم مجرد هيكل، ولحن إنما غادرنا الهيكل.

الرد: حركة مجتمع السلم أسسها الشيخ محفوظ نحناح -رحمه الله-، وهي ليست مجرد هيكل.

هي اسم مبارك ارتبط به مشروع الدفاع عن الإسلام من المصادرة أو التشويه. وهي اسم مبارك ارتبط به استشهاد 500 شهيد يتقدمهم الذبيح الشيخ محمد بوسليماني.

هي اسم مبارك ارتبط به مشروع مواجهة العلمنة والاستئصال والفكر التغريبي. هي اسم مبارك ارتبطت به فلسطين المباركة، وقد سميت الحركة "حماس" تيمنا بـ "حماس" فلسطين.

حركة مجتمع السلم هي الاسم الذي دخل التاريخ في وثائق المؤرخين والإعلاميين والذاكرة الجماعية للشعب الجزائري.

حركة مجتمع السلم مكسب فكري وقانوني، سمح للحركة بالانتشار والتوسع في ظل الشفافية وقوانين الجمهورية.

حركة مجتمع السلم مؤسسات وإنجازات في الذاكرة الجماعية للشعب الجزائري.

حركة مجتمع السلم هي الراية التي رفعت تنصر المشروع الإسلامي وتحمي الوطن، فلا يجوز لا عقلا ولا نظرا ولا حتى شرعا إسقاطها باتباع الهوى والرغبة في الانتقام.

ش: نحن أنهينا الخلاف بالخروج.

الرد: مثل هذا الفهم في التعامل مع الرسالة الأخيرة للمرجعية لا يليق. وكيف أنهيت الخلاف، وإنما الثابت أنك شرعت رسميا في تعميقه وإثارته وشغل الرأي العام به. كيف نسمي:

1 ـ محاولات اقتسام نواب حركة مجتمع السلم الذين انتخبهم الشعب تحت لافتة حركة مجتمع السلم.

2 ـ ومحاولات اقتسام المنتخبين المحليين للحركة والذين انتخبهم الشعب تحت لافتة حركة مجتمع السلم.

3 ـ ومحاولات اقتسام مؤسسات الحركة والتصارع من أجل افتكاكها أو كسرها.

4 ـ ومحاولات اقتسام المناضلين.

5 ـ ثم هذا الخروج المحموم لوسائل الإعلام كل مرة ليتأكد الرأي العام بفشل الحركة الإسلامية وعجزها عن استيعاب خلافاتها ومشاكلها الداخلية.

هل هذه المظاهر كلها ليست خلافا، وإنما دعوة مباركة للإسلام وتعريف بجماليات الإسلام وبث للأمل في المشروع الإسلامي.

فإذا كانت هكذا الدعوة فكيف هي السياسوية.

صور من الانحراف مسكوت عنها:

من صور الانحراف التي تحدث عنها الأستاذ مصطفى مشهور في كتابه "طريق الدعوة بين الأصالة والانحراف":

1ـ إحداث محاور أو تكتلات داخل الجماعة حول أشخاص أو أفكار أو آراء وإيجاد ما يشبه التنظيم المستقل داخل التنظيم العام أو محاولة ممارسة الضغط على القيادة لإلزامها برأي معين وإلا يعتزل ويحدث تصدع" ـ فقه الدعوة ج1 ص 171.

يقول الأستاذ مصطفى مشهور عَقب هذا الكلام: "كل هذه الصور انحراف عن مفهوم الجماعة وعن مفهوم الالتزام" ـ المصدر نفسه.

2ـ "ومن صور الانحراف... تعلق بعض الأفراد بأشخاص بذواتهم أكثر من ارتباطهم بالجماعة وقيادتها" ـ فقه الدعوة ج1 ص171.

3ـ "ومن صور الانحراف إثارة الخلاف والفرقة داخل الصف بما يساعد الشيطان أن يجد مجالا للتباغض والحواجز بين الإخوة وصرف الجهود والأوقات حول الخلافات وأسبابها وإزالة آثارها" ـ فقه الدعوة ج1 ص 172.

4- من صور الانحراف كثرة تعدد التجمعات والرايات والزعامات مما يوزع الجهود ويفتتها ويبلبل الشباب - فقه الدعوة ج1 ص 170.

5 - ومن صور الانحراف أن يستعلي أحد باسم جماعة الإخوان على غيرها من الجماعات الإسلامية الأخرى - فقه الدعوة ج1 ص 174.

لا أريد أن أناقش هذه الانحرافات التي تحدَّثَ عنها المرشد الخامس للإخوان المسلمين، ولكن أردت من القارئ أن ينتبه أن قائمة الانحرافات قد تتوسع، فماذا لو نتعامل بسطحية وبالظاهر مع مثل هذه المقررات.

قول نفيس للقرطبي:

الأعمال أمارات ظنية لا أدلة قطعية ويترتب عليها عدم الغلو في تعظيم من رأينا عليه أفعالا صالحة وعدم احتقار لمسلم رأينا عليه أفعالا سيئة بل نحتقر ونذمُّ تلك الحالة السيّئة لا تلك الذّات السيئة، فتدبَّر هذا فإنه نظر دقيق وبالله التوفيق - أصول الإفتاء ج3 ص213.

أسباب أخرى للانفصال:

توجيهات وإيحاءات المرجعية: الرسالة الأخيرة للمرجعية واضحة المعاني والدلالات فيما تعلق بالمفاصل الأساسية للرسالة، أما محاولة قراءة ما وراء السطور واستنطاق المفردات فأخشى أن يكون من باب (فيتبعون ما تشابه منه). لأنه في زمن الخلافات والفتن لا يجب اتّباع إلا البيّن الظّاهر ومجمل ما وقع لأمتنا - كما قال ابن تيمية - عبر تاريخها في الخلاف كان بسبب الخروج عن القراءات الظاهرة إلى قراءات لا تسعفها لغة ولا منطق ولا قواعد: والتأويل باب واسع لتعطيل الحقائق وتشويهها كما هو مذهب السلف الصالح.

فإذا كان الهوى بعض مقدمات الدليل أدى إلى الافتراق والخلاف المنهي عنه كما قال الشاطبي رحمه الله.

والغريب أن الرسالة الأخيرة تدعو بوضوح إلى إنهاء الخلاف وتحقيق الوحدة فكيف تُركَ النص الواضح واتبعت الإشارات الخفية غير الواضحة.

فمن حق المرجعية أن تقول لنا: "فلوموا أنفسكم ولا تلومونا إذا تعطل العقل عندكم إلى هذه الدرجة" فإلى الله المشتكى!

وزعم البعض أنهم سكتوا عن البيان مراعاة لمصالح الأوطان وتجنبا للمضايقات وما إلى ذلك من الأسباب الشبيهة والمثيلة.

أولا: لا يجوز لمن كان في مثل هذا المقام أبدا التعامل بهذا الأسلوب وإننا لننزههم عن مثل هذه النقائص والمثالب وكيف يفعلون، ذلك وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من سُئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار" ـ رواه الترمذي ـ

فكيف يُنسبُ إليه التكتم والتستر عن علمٍ الجميع بحاجة إلى وضوحه وبيانه لتزول الشكوك، وعلمٍ إخفاؤه يسبب الفتن والاضطرابات والقلاقل!

ثم كيف يتعطَّل بيانهم وقت الحاجة ثم يتعطل كلما تقدم إليهم قيادي من القيادات يستفسر ويستوضح حتى يبرئ ذمته أمام الله ويفي بعهده فلا يوضحون له الأمر، ثم هم لا يبلغون إلا إلى أسماء معينة يثقون فيهم ولا يبلغون إلا إلى جهة واحدة موجودة في التغيير. لا أدري كيف ننسب إلى قياداتنا المباركة التي لا تقهرها السجون ولا الطواغيت مثل هذه الفعال الناقصة والأخلاق الهابطة التي لا تليق.

ثم كيف ننسب إليهم رأيا ظاهرا ورأيا باطنيا، ثم كيف ننسب إليهم مثل هذه الازدواجية والتناقض في التعامل مع أطراف الحركة المختلفة.

ثانيا: ما مصير 70 بالمائة أو أكثر من الإخوان الذين في عنقهم عهد وذمة وهم مع الشرعية الآن أمام عدم الوضوح وغياب البيان. وما مصير من هم في الوسط قيادات ومناضلون أمام هذا الغموض بل ما ذنبهم؟ بالله عليكم.

أيعقل أن يُقال إن "الأمانة" انتقلت إلى الجهة الفلانية سريا وعلى الطرف الآخر المخالف فهم واستيعاب الدلالات السرية والأوامر السرية التي صدرت إلى جهة معينة هي خصمه بعد المؤتمر وعليه الالتحاق دون نقاش وإلا ليس من... وليس من...

ثم كيف يعقل أن طرفا يذهب إلى الهيكلة بناء على ما ذكرنا سابقا وتحديد الهيئات القيادية وطنيا وولائيا وبلديا والجميع غدا مطالب بمجرد التحاق أو هو ليس من الإ... لا أعتقد مطلقا نسبة مثل هذا السلوك للمرجعية المباركة وإلا لكان هذا منهم -كما قال ابن تيمية- امتحان للعباد بما لم يأذن به الشرع وامتحان بالظلم وحاشاهم أن يفعلوا ذلك أبدا.

ثم كيف يقال إنهم تركوا طرفا يصنع الأمر الواقع ثم يمدونه بالتزكية والمباركة!

إنني على يقين الآن أننا أسأنا إلى المرجعية وإلى الفكرة والمنهج وإلى ذاكرة الشيخ محفوظ نحناح -رحمه الله- وإلى الصورة الملحمية لاستشهاد الشيخ بوسليماني وإلى التاريخ المعاصر للحركات الإسلامية وأسأنا إلى أنفسنا.

فليس بمثل هذه الفعال والصنائع والتراشقات والسجال على صفحات الجرائد ننتصر للإسلام ولا للدعوة ولا للمؤسسات ولا للشرعية.

الفهرس

هذا الكتاب



بين الحقيقة والإشاعة، وبين الصدق والكذب، مضمار سباق يومي، ومساحة تبار حقيقي أمام رأي عام يكاد يكون أكبر جمهور يشهده ملعب الدعاية والإشاعة والحقيقة وصدقية المضمون في الجزائر. لكن هذا السباق بين الحقيقة والإشاعة بالرغم من أنه يثير زوابع رملية وترابية إلا أنه محسوم لصالح الحقيقة والصدقية،

وتجربة التاريخ الذي لا تتكرر فيه الأحداث ولكنها تصيغ ظواهر سياسية واجتماعية تسهل على القارئ المتابع معرفة الخلفيات والممنوعات وتوفر له هذه الظواهر فرص تقريب المعلومات بعضها إلى بعض وسبر أغوار أي قضية مطروحة على الساحة، وتصنيفها في خانة الظواهر السياسية والاجتماعية المتكررة ليستفيد منها في تدقيق المقاربة وتحديد الموقف تجاه الراهن الذي تتزاحم فيه الأحداث، وبالتالي يمتلك القدرة على معرفة اتجاه رياح تداعي المعلومات والأخبار ببوصلة تتيح القراءة الذكية للأحداث.

وهذا الكتيب يسلط الضوء على الرؤية النظرية والسياسية والشرعية والتربوية للإشاعة، وإبراز دور قيمة النضال في مواجهتها، كما يستعرض الكتيب حملات القصف الإعلامي التي تعرضت إليها حركة مجتمع السلم في الجزائر وكيف صمدت في وجهها رغم تعاظم وسائل القصف الإعلامي وتعدد أطرافه، إلا أن حركة مجتمع السلم أثبتت في كل مرة قوة صمودها ومقاومة قاعدتها النضالية لكل الإشاعات التي استهدفت المنهج والقيادات والرموز.

ومن خلال الدراسة الموضوعية لهذين المسارين استخلصنا نتيجة أساسية، تفيد أن النضالية داخل حركة مجتمع السلم هي محور العمل والرهان، وهي الحل الطبيعي والفاعل لمواجهة كل أشكال الإشاعة والأراجيف مصداقا لقوله تعالى : ﴿إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم، بل هو خير لكم، لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم، والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم ، لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا، وقالوا هذا إفك مبين﴾

المؤلف



دار الخلدونية

05 شارع مسعودي محمد - القبة القديمة - الجزائر

021.68.86.49 : ف 021.68.86.48 : ه/ف

email : khaldou99_ed@yahoo.fr



ISBN: 978-9961-52-431-2

9789961524312